آليات ديونيسيوس للكشف عن ماهية الجوهر الإلهي

د. عبير عبد القوى سجرى محمد

مدرس بكلية الآداب– جامعة عين شمس

فلسفة العصور الوسطى (المسيحية)

الملخص باللغة العربية:

تعاطى ديونيسيوس مع مسألة الألوهية بتشعباتها المتنوعة والذي تراوح بين الإقرار بالثالوث، ثم الواحد، ثم إنكار كل ما سبق، كفيل بإماطة اللثام عن حقيقة تصور ديونيسيوس للذات الإلهية والذي يمثل صلب فلسفته بأكملها. ولن يتأتي ذلك إلا **من خلال محاولة الإجابة عن ما يلى:**

- ماهى الركائز التي ارتكز عليها ديونيسيوس للكشف عن ماهية الله؟
- وهل ركن إلى اللاهوت بنوعيه الايجابي والسلبي، وبهذا تصنف معالجته كونها معالجة لاهوتية بحتة؟
- أم لجأ لمعاول أخرى– إلى جانب اللاهوت– لتوضيح وترسيخ فكرته عن الذات الإلهية؟

ولقد عولنا على المنهج التحليلي النقدى المقارن.

ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى ما يلى:

إن ديونيسيوس في تصوره للذات الإلهية اعتمد– إلى جانب اللاهوت– على الانطولوجيا إذ لم يكن ثمة تعارض بين اللاهوت والانطولوجيا بل كانوا من قبل يستخدمون مصطلح اللاهوت للإشارة إلى كل ما يحويه الكون من موجودات وكيفية معرفتها، أي الأنطولوجي. ولقد عول ديونيسيوس على اللاهوت بأنواعه ايجابى وسلبى وصوفى بمناهجهم المختلفة للولوج إلى الماهية الإلهية، وإن مثل كل من المنهج الايجابى والمنهج السلبى تمهيدًا لذلك الولوج، الذى تم من خلال المنهج التجريدى والتأمل والاستسلام ومن ثم الإتحاد بالله.

الكلمات المفتاحية: (ديونيسيوس– اللاهوت– عصر الآباء– الأنطولوجى– الصفات الإلهية).

(ISSN: 2536 - 9555)

"Dionysius Mechanisms to Reveal What the Divine Essence Is"

Dr. Abeer Abdul-Qawe Segry Mohammed
Teacher at the Faculty of Arts - Ain Shams University
Medieval Philosophy (Christianity)

Summary in English:

Dionysius's handling of the question of divinity with its diverse ramifications, which ranged from acknowledging trinity, then The one, and then denying all, can reveal the truth about Dionysius's Perception of God, which is at the heart of his entire philosophy. And that couldn't possible unless trying to answer the following:

- What is the pillars on which Dionysius was based to reveal what God is?
- Is he a pillar of theology in its positive and negative quality, thus classifying its treatment as purely theological treatment?
- Or did he resort to other tables, beside with theology, to clarify and consolidate his idea of God?

We have relied on the comparative critical analytical approach.

Through this study, we found:

Dionysius, in his conception of God, relied, beside theology, on ontology, as there was no conflict between theology and, but before they used the term theology to refer to all the assets of the universe and how to know it, i.e. ontology.

Dionysius depended on all kinds of theology, positively, negatively and mystically in their different methods to access to divine essence, although like both the positive approach and the negative approach in preparation for that entry, which was done through the, Privations, Meditation, Surrender and then the Union of God.

Keywords: (Dionysius- Theology- Age of Fathers- ontology– Divine Attributes)

مقدمة

يعد ديونيسيوس الأريوباغيتي Dionysius The Areopagagite* أكثر الشخصيات الغامضة والمثيرة للاهتمام التي ظهرت في العالم القديم المتأخر(١). ولعل قراءة مؤلفات ديونيسيوس لأمر صعب وذلك لأسباب عدة: **أولها:** كون لغته اللاهوتية المألوفة غريبة على ممارستنا الناطقة باللغة الإنجليزية. **ثانيها:** أن كل مصطلح يوظفه، له صدى في تاريخ الفكر القديم بأكمله بدءًا من الأفلاطونية المسيحية للآباء مثل جريجوري أوف نيصا Gregory of Nyssa إلى الأفلاطونية المحدثة لأفلوطين Plotinus وامبيليكوس Imblichus وبروقلس Proclus. **ثالثها:** أنه يركز لاهوته– في الغالب– على الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية والتي يطلق عليها "الكتب المقدسة" Divine Oracles. **رابعها:** يتسم الترتيب الذي نقرأ به مؤلفات ديونيسيوس بالإبهام والغموض. **خامسها:** يذكر ديونيسيوس ما لا يقل عن سبعة مؤلفات ضائعة من مؤلفاته. لذا ثمة صعوبة في قراءة أعمال ديونيسيوس(٢). والمؤلفات الباقية لديونيسيوس هي أربع أطروحات وعشرة رسائل، والأطروحات هي:

---

*منذ منتصف القرن السادس الميلادى، انتشرت التكهنات حول هوية هذه الشخصية البارزة، هل كان– كما يقدم نفسه– أول أثينى يعتنق القديس بولس St Paul، الذى عاش وكانت له مؤلفات في أواخر القرن الميلادى، أم كان– على الأرجح– شخصية على نحو رفيع من الثقافة في أواخر القرن الخامس ينحاز للمدرسة الأثينية المعاصرة، للأفلاطونية المحدثة Neoplatonism من أجل صياغة لاهوت أفلاطوني مسيحى جديد؟ ويمكننا الآن اعتبار أن الخلاف قد حسم لصالح البديل الأخير. ولكن هذا الأمر لا يزال يستحق الدراسة.

See: Sarah Klitnic, John, Dillon, Dionysius the Areopagagite and Neoplatonist Tradition, AShgate studies in Philosophy- Theology in LateAntiquity, AShgate, 2007, p1.

(1) -Ibid,p 1.

(2) Corrigan, Kevin and L.Michael Harrington, pseudo- Dionysius the areopagite, Stanford, Metaphysics Research Lab, Stanford University, 2019, p3.

(ISSN: 2536 - 9555)

- **في الأسماء الإلهية On The divine names.**
- **في التسلسل السماوى الهرمي On The celestial hierarchy.**
- **في التسلسل الهرمى الكنسي On The ecclesiastical hierarchy.**
- **في اللاهوت الصوفي On Mystical Theology[٣].**

وجدير بالذكر أن كتابات ديونيسيوس تعج بقضايا لاهوتية كثيرة تباينت الآراء والتساؤلات إزاء تناول ديونيسوس لها. لا يوجد ماهو جديد عن اللاهوت المسيحي في القرن الخامس الميلادى، من مدعى الحجة، ولكن حرص ديونيسيوس على التخلى عن اتباع الحرفية في تفسير الكتاب المقدس، واستعداده لرؤية وجهات نظر مغايرة وغير مبالية للدين، أو بالأحرى وجهات نظر متطرفة[٤].

وكان السؤال هو: هل مثلت المسيحية غطاء لديونيس لإيمانه الحقيقى وهو الأفلاطونية المحدثة الوثنية؟ هل حاول إيجاد مكان داخل المسيحية يمكن للأفلاطونية المحدثة المحظورة أن تستمر وتحيا فيه؟ يرى أندرو لاوث أن الجواب الفورى على هذه الأسئلة هو ملاحظة أنه بحلول نهاية القرن الخامس كان بين المسيحيين اليونان والفلاسفة الوثنيين الكثير من القواسم المشتركة، ولهم الثقافة المشتركة نفسها.حتى في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، كان هناك رجال مثقفون تم التعبير عن عقيدتهم المسيحية في لبس ثقافة وثنية تثير التساؤل حول ماهية ولائهم[٥].

يرى البعض إن مؤلفات ديونيسيوس التي تبحث في قضايا لاهوتية متعددة، لا تبعد كثيرًا عن حظيرة الفلسفة. ويجوز القول إن مجموعة مؤلفات ديونيسيوس تتجاوز كونها مجرد محاولة تلفيق بين الأفكار الأفلاطونية المحدثة والعقائد المسيحية– والتي كانت استجابة لهموم العصر الفكرية ومتطلبات العقول آنذاك– إذ من البين أنها تأخذ الأفكار الأفلاطونية فتنصرها وتعمدها، لتضفي عليها الطابع الدينى على وجه الخصوص الأفكار المثالية والتصوفية الموجودة في تلك

(3) Ibid, p3.
(4) Andrew Louth, Denys the Areopagity, Outstanding Christain Thinkers, Continuum, London- NewYork, 2001, p23.
(5) Ibid, P24.

الفلسفة، بغرض الوقوف على المحاولات التي بذلتها الأفلاطونية المحدثة الإسكندرانية بغية الصمود إزاء المسيحية. لذا تم وضع الغريمين وجهًا لوجه لإظهار ما تتسم به المسيحية من تفوق، وكذا مابين المسيحية والأفلاطونية من نقاط تلاقى[٦].

وفي رأينا أن البحث عن ماهية تصور ديونيسيوس للذات الإلهية يفوق من حيث الأهمية كل ما سبق، بل من الممكن أن يكشف لنا هذا البحث عن إجابات وافية للتساؤلات السابقة. فتعاطى ديونيسيوس مع مسألة الألوهية بتشعباتها المتنوعة والذي تراوح بين الإقرار بالثالوث، ثم الواحد، ثم إنكار كل ما سبق، كفيل بإماطة اللثام عن حقيقة تصور ديونيسيوس للذات الإلهية والذي يمثل صلب فلسفته بأكملها. ولن يتأتي ذلك إلا من خلال محاولة الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ماهي الركائز التي ارتكز عليها ديونيسيوس للكشف عن ماهية الله ومن ثم معرفته؟
- هل اكتفى بالركون إلى اللاهوت بنوعيه الايجابي والسلبي فقط، وبهذا تصنف معالجته كونها معالجة لاهوتية بحتة؟
- أم لجأ لمعاول أخرى- إلى جانب اللاهوت- لتوضيح وترسيخ تصوره لماهية الذات الإلهية؟

وسنحاول الإجابة عن التساؤلات السابقة وغيرها فيما يلى.

ولعل المنهج التحليلي النقدى المقارن أنسب المناهج لمعالجة هذه الإشكالية.

أولًا: لاهوت ديونيسيوس كمنهج للبحث عن ماهية الذات الإلهية

لقد قدم مصطلح اللاهوت السلبي Apophatic Theology واللاهوت الإيجابي Cataphtic Theology، أي استخدام النفي والإثبات في طريقنا

[٦] علي زيعور، الفلسفة في أوربا الوسيطة وعصرى النهضة والإصلاح، سبق ذكره، المكتب العالمى للطباعة والنشر، ص٢٣٠.

(ISSN: 2536 - 9555)

للحديث عن الله، وفي اللاهوت المسيحي من قبل ديونيسيوس. ومع ذلك فإن لاستخدام النفي والإثبات فيما يتعلق بالله تاريخ طويل، يمتد لفترة أطول من المسيحية، حيث يعود إلى تقاليد النصوص العبرية والفلسفة اليونانية الكلاسيكية(٧). ذهب المدرسيون الأوائل إلى كون استخدام ديونيسيوس لمصطلحات مثل "اللاهوت" Theology و"التقليد" Tradition، لا يختلف كثيرًا عن الطريقة التي استخدمها الأفلاطونيون المحدثون، بل كانت متشابهة(٨).

ولا غرو أن مصطلحات اللاهوت السلبي واللاهوت الايجابي أصبحت مألوفة في اللاهوت البيزنطى من زمن مكسيموس المعترف Maximus The confessor ويوحنا الدمشقى John Damascene، ويبدو أن استخدامهم المسيحي الأول كان مع ديونيسيوس، ولكنها تستخدم أيضًا بحرية في سياق لاهوت بروقلس Proclus*. وبالنسبة لديونيسيوس، فإن مرجعية كل من اللاهوت السلبي والايجابي هي الله الواحد، وقد يبدو أن كلا النوعين من اللاهوت متناقضان أو بينهما مفارقة، في حين إنهما يتعلقان بذات الإله الذي يتطلب منا تقديم الإثباتات أو السلبيات عنه(٩).

يؤكد ديونيسيوس أنه لا يمكن فهم حقيقة الذات الإلهية بعقلنا ولا بحواسنا، وكما أننا لا نستطيع معرفته، وبناء عليه لا نستطيع تسميته. واللاهوت الايجابي

(7) Andrew Louth, Apophatic and Cataphatic Theology, The Cambridge Companion to Christian, Oxford university press, 2007, P137.
(8) Andrew Louth, Denys the Areopagity, P24.

*ولا غرو أن بروقلس يعد– كما سنرى– أبرز الشخصيات التي تأثر بها ديونيسيوس وهنا تجدر بنا الإشارة إلى ما تتسم به فلسفة بروقلس بالتعقيد برغم أنه تتألف من عدد قليل من العناصر الأساسية، ولعل ما يجعلها صعبة الفهم، في كثير من الأحيان، هو: النسيج الوثيق لموضوعاتها بحيث إذا شرعت بجذب أحد الخيوط، ستسحب السجادة بأكملها. كما أنه يوظف مصطلحات ومفاهيم تقنية للغاية، والتى تتبع من فلسفات كل من أفلاطون وارسطو والرواقيين وأفلوطين والفيثاغوريين الجدد ويمبيليكوس.

-see: Lucas Siorvanes, Proclus, Neo- Platonic Philosophy and Sciense, Yale university press, 1996, P48.

(9) Andrew Louth, Denys the Areopagite, P 87.

يتمثل فى إطلاق الأسماء الواردة في الأسفار على الله، ولكن لا غنى عن نفي هذه الصفات والأسماء، وهذا ما يطلق عليه اللاهوت السلبي، كما أنه ثمة لاهوتًا ثالثًا يوفق بين الضربين، ويقوم على القول بجواز إطلاق هذه الصفات على الله شرط أن نأخذها بمعنى مغاير للمعنى العقلي والبشرى الشائع لها، فيصير الله الكائن الأعلى، والحياة الأعلى والطيبة* الأعلى(١٠).

وبهذا فإن ديونيسيوس يتحدث عن مختلف أنواع اللاهوت: ايجابي، رمزي**، سلبى وهو ثالوث آخر. ومع ذلك لا بد أن نكون حذرين أكثر من أن نكون مفتونين بهذه الثلاثية والعبث معهم مثل بروقلس في محاولة لربطهم معًا. ديونيسيوس لم يكن كذلك، فهو يستخدم ثالوثه لكن لم يحاصر في سحرهم مثل بروقلس، وبالتالي من الصعب تقليص فكر ديونيسيوس في أي شيء منهجي بصورة منظمة(١١).

وتجدر الإشارة إلى ديونيسيوس في البداية ارتكز إلى نوعين من المناهج لمعالجة مسألة الألوهية، المنهج الايجابي والمنهج السلبي. استخدم ديونيسوس منهج الإيجاب، كما يسميه هو نفسه، في أطروحته "الأسماء الإلهية" وكذلك في عمله المفقود بعنوان "اللاهوت الرمزي ومعالم الألوهية". بينما استخدم المنهج السلبي في كتابه "اللاهوت الروحى"، ويقصد به إقصاء جميع النقائض البشرية عن الذات الإلهية. ويعزو هذا التمييز بين هذين المنهجين الايجابي والسلبي إلى

* يقصد المؤلف هنا الإشارة إلى الخير الأسمى وهو الله.

(١٠) علي زيعور، الفلسفة في أوربا الوسيطة وعصرى النهضة والإصلاح، سبق ذكره، ص٢٣٣.

**تكمن صعوبة هذه الاسماء التى أشار إليها ديونيسوس والتقليد الأفلاطونى المحدث بصفة عامة باسم الرموز، في أنها لا تربطهما علاقة متضمنة في صلب الألوهية على الإطلاق. تفتقر دلالاتها الحرفية على عالم الحس، ولذا يجب أن تتحول إلى إشعارات أو رموز لكى تصبح مفيدة للاهوت، وهذه هى مهمة اللاهوت الرمزى عند ديونيسيوس.

انظر:

Corrigan, Kevin and L.Michael Harrington, Opcit, P 6.

(11) Andrew Louth,The origins of The Christian Mystical Tradition from Plato to Denys, 2 edition, Oxford univ., press, 2007, P159.

(ISSN: 2536 - 9555)

الأفلاطوني المحدث بروقلس. ولقد طوع ديونيسيوس أفكار بروقلس، التي نقلها عنه اللاحقين عليه من أهل الفلسفة واللاهوت مثل الإكويني[١٢].

١- <u>المنهج الايجابي</u>:

يمهد ديونيسيوس بتوضيح كيفية استخدام كلمات لله، والمعنى الكامن في هذه الكلمات. ويرى إننا نتحدث عن الله بإعطائه أسماء، تلك الأسماء كشفها الله لنا في الكتاب المقدس، وفهمنا للطبيعة الإلهية هو في ذاته فهم لهذه الأسماء. ولكن على الرغم من أن هذه الأسماء قد كشف عنها، وهي تمثل طرقًا لنقل المعنى للإنسان، وهي لا تصل إلى حد الإفصاح عن طبيعة الله نفسه[١٣]. وها هو يقول: "أن جميع أسماء الله... التي يتم الاحتفاء بها من قبل الكتب المقدسة ليس بصورة جزئية، ولكن كما هو مطبق على الألوهية بأكملها، وأنهم جميعًا يحيلون بشكل محايد تمامًا وبدون تحفظ إلى كل الآلهة الكاملة وجميعها"[١٤].

مثل هذه الأفكار كانت شائعة في اللاهوت المسيحي، مثل كتب آباء كابادوكيان Cappadocian* فالبنسبة لهم كشف الله عن أسماء كثيرة، لكنه ظل في نفسه مستترًا وراء كل الأسماء، أى مجرد موضوع. حاول ديونيسيوس في كتابه

---

[١٢] كوبلستون، تاريخ الفلسفة، من أوغسطين إلى دانز سكوت، المجلد الثانى، القسم الأول، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام وإسحق عبيد، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ص١٣٣-١٣٤.

[13] **See:** Andrew Louth, Denys the Areopagite, P78.

[14] Dionysius The Areopagite, The Areopagite works (1897), Divine Names, Mystic Theology, Trans by John Parker, Divine names, caput ii, section i, Christian Classics,Ethereal Library, P18.

*هم مجموعة مكونة من ثلاثة لاهوتيين بارزين ساهموا بشكل كبير في تكوين اللاهوت الأرثوذكسى وهم: باسيل اوف قيصرية وأخوه جريجورى أوف نيصا وصديقهما جريجورى أوف نازينزيوس.

انظر:

- Don S.Armentrout and Robert Boak, editors, Episcopal Dictionary of the Church, New York.
- The editors of Britannica Encyclopaedia, The Cappadocian Fathers, Patristic Litereture, Christianity, Britannica Encyclopaedia, 2020.

الأسماء الإلهية ما هو أبعد من ذلك، إذ أعطى الأهمية للمنهجية التي نتعامل بها مع هذه الأسماء التي نمدح بها الله، ويتضح تمامًا أن هذا ما نفعله، نحن ننتقى الأسماء ومن ثم نحتفى بالجوهر الإلهي، ولا يتحدث ديونيسيوس عن أسماء الله بوصفها مجرد صفات ننسبها إلى الله، بل هي أسماء نحمده ونمجده ونسبحه بها[١٥].

ويعرض ديونيسيوس في "الأسماء الإلهية" شرح يوضح كيفية وصف الله "المعلوم" وكذا الله "الخفي"– على حد قوله– بالتعويل على الكتاب المقدس والتقاليد المسيحية، متبعًا الميتافيزيقا الأفلاطونية، تلك التي يكون فيها الله يتجاوز كونه غير مدرك ويسمى بأسماء الأشياء لكونه علتها جميعها[١٦].

ويعول ديونيسيوس في كتابه الأسماء الإلهية على المنهج الإيمانى، مبينًا أن أسماء مثل الخير والحياة والحكمة والقوة، هي من الأسماء التي نصف بها الله بأسلوب مفارق، كما نصف بها بعض البشر ولكن بدرجات متفاوتة على قدر نسبتها إلى الصفات الإلهية. وهذه الأسماء ليست مجرد صفات متضمنة ولكنها صفات جوهرية في الذات الإلهية[١٧].

ومما لا شك فيه إن استخدام المنهج الايجابي في كتاب الأسماء الإلهية يمنح الطبيعة الإلهية كمالات متوافقة مع الطبيعة الروحية لله. ذلك رغم أن هذه الكمالات غير موجودة في الذات الإلهية على غرار ما هي موجودة في المخلوقات، إذ تكون تامة في الله. فإذا قلنا إن الله عقل، لا يعني ذلك أننا نعزو إليه عقلًا إنسانيًا، أي العقل الوحيد الذي نعيه ونعرف ماهيته.المراد هنا القول إن الله أكثر من ذلك، ويجل عن الوصف، ويتجاوز حدود المعرفة العقلية، ولذا يكون الأفضل القول: الله فوق العقل، كما أنه ماهية فوق الماهيات، وهو جمال فوق الجمال، وما إلى ذلك[١٨].

---

(15) **See:** AndrewLouth, Denys the Areopagite, P79.

(16) Eric Perl, Pseudo- Dionysius The areopagite, Edite by Lioyd P.Gerson,The Cambridge History of Philosophy in Late Antiquity, Volume II, Cambridge university press, 2011, P768.

(١٧) كوبلستون، تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني، القسم الأول، سبق ذكره، ص١٣٢.

(١٨) علي زيعور، الفلسفة في أوربا الوسيطة وعصرى النهضة والإصلاح، سبق ذكره، ص٢٣٣.

(ISSN: 2536 - 9555)

ولا شك أن "الأسماء الإلهية" في مجمله كتاب فلسفي، رغم كونه أيضًا، كتابًا لاهوتيًا بل يعد تفسيرًا للكتب المقدسة. يقول فيه المؤلف إن هذه الأسفار تطلق على الله عددًا من الأسماء المختلفة، والتي ينبغى البحث في جواز إطلاقها عليه من عدمه، ولا يجب إطلاق أيًا منها على الله مالم تكن موجودة في الكتب المقدس ومستندة إليها. وذلك لأن الله هو الوحيد الذي يعرف ذاته، كما إنه وحده الذي يمكن الناس من معرفته، إذا سعوا لذلك[١٩]. ويمثل العرض الذي قدمه ديونيسيوس في الفصول الرابع إلى السابع في كتابه الأسماء الإلهية، مثالًا رائعًا لكيفية إتقان ديونيسيوس– بمفرده– المهمة التي فرضها على نفسه بتناول مسألة "ماهية الله"من خلال الإشارة إلى الله باستخدام معتقدات الكتاب المقدس مع إماطة اللثام عن عقيدة فلسفية ثابتة لا تتعارض مع العقيدة المسيحية **والتي تتمثل في:** "بناء العالم في العقل اعتمادًا على المواد المقدمة مسبقًا من العقل نفسه"[٢٠].

وبعد ثلاثة فصول تمهيدية يستقر ديونيسيوس في مناقشة منهجية للأسماء الإلهية، بداية من "الخير" Goodness وينتهي إلى "الواحد" The one. بعد فصل الخير، تناول ثلاثة فصول عن "الوجود" being و"الحياة" life و"الحكمة" wisdom الذي يعكس صدى ثالوث بروقلس (الوجود– الحياة– الفكر) كل هذا يشير إلى أجواء أفلاطونية محدثة بقوة في باقي الرسالة، ولقد عالج بعض الأسماء الدينية scriptural بوضوح، ولبعضها أصداء فى الكتاب المقدس ولبعضها الآخر في الأفلاطونية المحدثة[٢١]. ولا غرو لقد تآثر ديونيسيوس بالأفلاطونية المحدثة، ما مر عبر يمبيليكوس Iamblichuus وفي نهاية القرن الرابع تولى الأكاديمية في أثينا. كما واكب ممثل لهذه المدرسة هو بروقلس والذي كان خليفة أفلاطون، ولقد لقبه ب "بروقلس المسيحي"، والتشابه العام بين بروقلس وديونيسيوس لافت للنظر[٢٢].

---

[١٩] المرجع السابق، الموضع نفسه.

[20] Christian Schafer, The philosophy of Dionysius the Areopagite, Leiden.Boston: Brill, 2006, P 88.

[21] Andrew Louth, Denys the Areopagite, P81.

[22] **See**: Andrew Louth, The origins of The Christian Mystical Tradition from Plato to Denys, P 156.

إذن يستهل ديونيسيوس الطريق الايجابي بالمقولات الكبرى، ويبرر ذلك بحجة ضرورة البدء بما هو أقرب إلى الله، معترضًا أن الله هو الحياة الخيرة، بدلًا من القول بالأشياء المحسوسة من حولها مثل الهواء وغيره من مظاهر الطبيعة، لأنه في حين تشير الحياة والخير إلى صفات جوهرية في الذات الإلهية، تبقى الأشياء المحسوسة مجرد علامات للبشر على صنائع الله، ويمضى ديونيسيوس ليوضح أنه برغم أن بعض هذه الأسماء مفضل على الآخر، فإنها جميعًا مختلفة تمامًا عن صفات الله. الجوهر الأعلى المطلق الذي دونه كل الأوصاف. إن ديونيسيوس بهذا لا يردد بمبادرات الأفلاطونيين المحدثين. وإنما يؤكد على الإشارة الموضوعية لمحتوى هذه الأسماء التى لا توجد إلا في الذات الإلهية نفسها، والتي تتجاوز كل الصفات والأسماء التي نستخدمها بصدد البشر[٢٣].

نستطيع القول إن أطروحة الأسماء الإلهية تسعى لتمجيد أسماء الله، لأنه لا يصرح بالتعبير عن الخير الإلهي الأسمى، والماهية والحياة والحكمة للألوهية الأسمى، والتي أسست فوق كل الخير. والألوهية والماهية والحكمة والحياة في أماكن خفية كما توجد في الكتب المقدسة تمجد العناية الألهية المفيدة، التي حددت بوصفها الخير المبجل وعلة كل الأشياء الخيرة، وبوصفها الوجود والحياة والحكمة، العلة الضرورية والنشطة وصنع الحكمة لأولئك الذين يشاركون في الماهية والحياة والعقل والحس[٢٤]. وسنقوم الآن بعرض بعض من هذه الأسماء الإيجابية المعبرة عن الذات الإلهية، والتي استقاها ديونيسيوس من الكتب المقدس.

أ- الخير Goodness:

أولى الصفات التي يضيفها الكتاب المقدس لله هي صفة الخيرية، الخيرية هي مبدأ جميع الأشياء، تصدر الأشياء عن الله لخيريتها. ويوصف الله بكونه نورًا، وهو النور العقلي وشمس العقول، والله جميل أو هو الجمال بالذات، وكل جمال مخلوق أثر من جمال الله اللامتناهي، والله محبة، والكتاب المقدس يفضل أحيانًا

---

[٢٣] كوبلستون، تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني، القسم الأول، سبق ذكره، ص١٣٣.

[24] Dionysius the Areopagite, Divine Names, Caput v, Section i i, P 48.

(ISSN: 2536 - 9555)

هذا الاسم على اسم الود الذي قد يبدو للعامة أنقى وأصفي، الله محبة ومحبوب معًا[٢٥].

ويهتم ديونيسيوس بضرورة تحليل اسم الخير وها هو يقول: "... دعونا نتفحص اسم كل الخير الكامل، والذي يدل على جميع أوجه تقدم الذات الإلهية العظيمة"[٢٦]. ويقر ديونيسيوس بأن تسمية (الخير) يعزوها اللاهوتيون بشكل بارز وحصري إلى الماهية الإلهية الأسمى لذا يطلق عليها تسمية الجوهر الإلهي الخير، ولأنه بوصفه خيرًا أساسيًا، من خلال وجوده، يمد خيريته إلى كل الأشياء الموجودة. لأنه لو كانت شمسنا، بحكم كونها تنير كل الأشياء القادرة على المشاركة في ضوءها، كذلك الخير، فإنه أسمى من الشمس، مثل النموذج الأصلي، فهو فوق كل صورة معتمة، بوجوده ذاته يرسل لجميع الأشياء، أشعة الخير كله، وفقًا لاستعدادتهم. بسبب هذه الأشعة استمرت جميع الماهيات المعقولة والمحسوسة، والقوى والطاقات[٢٧].

ويتضح تأثر ديونيسيوس بالأفلاطونية المحدثة بشكل خاص في لغته التي يستخدمها عندما يصف الخير بالجمال أو الجمال الجوهرى الأعلى، ويستخدم كذا عبارة أفلاطون التي استخدمها أفلاطون في محاورة المأدبة (Symposium) التي تتردد في تساعية أفلوطين. وفي الفصل الثالث عشر في الأسماء الإلهية يتكلم ديونيسيوس كذلك عن الواحد أنه أعظم الأسماء جميعًا، ويعتمد في هذا كلية على الفكر الأفلاطوني عن المبدأ الأول الواحد[٢٨].

ب–<u>الوجود والحياة والحكمة:</u>

وفيما يتعلق بالوجود والحياة والحكمة، نجد أن ما يستخدمه ديونيسيوس هنا في تسمية تلك الأسماء التوراتية الشائعة، يمثل النظرة الأفلاطونية التقليدية للترتيب

---

[٢٥] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤. ص٥٤.

[26] Dionysius the Areopagite, Divine Names, caput iii, section i, P 26.

[27] Dionysius the Areopagite, Divine Names, Caput i i, Section xi, P24.

[٢٨] كوبلستون، تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني، القسم الأول، سبق ذكره، ص ١٣٢–١٣٣.

الثلاثي للواقع بأكمله، والتي تتراوح من أشياء موجودة فقط، مثل الكيانات المادية، ويكون أساسيًا في الكائنات الجسدية المتحركة، إلى الكائنات الفكرية البحتة مثل الملائكة. وهذا من أعلى إلى أسفل لكل من المستويات الأنطولوجية الثلاثة[٢٩].

والأسم الإلهي للخير، كما هو معروف هو التقدمات الكاملة لعلة الكل، يمتد، ليشمل الأشياء غير الموجودة، ويكون فوق الأشياء الموجودة. ولكن اسم الموجود Being، يمتد ليشمل جميع الأشياء الموجودة. واسم الحياة Life يمتد ليشمل كل الأشياء الحية، وفوق الأشياء الحية. واسم الحكمة Wisdom يمتد ليشمل كل الكائنات الفكرية والعاقلية والمحسوسة، بل ما يفوق كل ذلك[٣٠].

ومع هذا، قد يقول بعض الباحثين، لأي سبب نؤكد أن الحياة اسمى من الوجود والحكمة؟ فإن الأشياء الحية بلا شك فوق الأشياء الموجودة فقط– الأشياء الحسية فوق تلك التي تعيش فحسب، والأشياء المعقولة فوق هذه، والملائكة Minds فوق المعقولة، وحول الله وأكثر قربًا منه. ويجب أن تكون الأشياء التي تتلقى هبات أكثر من الله، لا بد أن تكون أفضل وأسمى من البقية[٣١]. يقول ديونيسيوس: "ولكن إذا كانت الملائكة Divine Minds، التى تعلو على باقي الكائنات وتحيا فوق الكائنات الحية الأخرى، وتفكر وتعلم فوق مستوى الإدراك الحسي والعقل– وبغض النظر عن الكائنات الأخرى الموجودة– تطمح إلى المشاركة في الجميل والخير.ووجودهم أكثر حول الخير، مشاركين فيه بوفرة، ويتلقون عطايا أكبر وأعظم من الخير.كذلك تتفوق المخلوقات العقلانية على تلك المدركة حسيًا...فإن الأشياء التي تشارك أكثر في الله الواحد الذي لا حدود له، هي أقرب إليه، وأكثر إلهية، من تلك التي تندرج وراءهم"[٣٢].

وفيما يتعلق بصفة "الحياة": الحياة الأبدية Eternal Life، التي تأتي منها كل حياة قائمة بذاتها Self Existing Life وكل حياة، والتي منها، لكل الأشياء أيًا كانت المشاركة في الحياة، الموزعة للقدرة على الحياة بشكل مناسب لكل منها.

(29) Christian Schafer, Opcit, P 85.
(30) Dionysius the Areopagite, Divine Names, Caput v, Section i, P48.
(31) Dionysius the Areopagite, Divine Names, Caput v, Section ii i, P48.
(32) Dionysius the Areopagite, Divine Names, Caput v, Section ii i, P49.

(ISSN: 2536 - 9555)

وبالتأكيد حياة وخلود الملائكة، وعدم قابلية الحركة الملائكية الدائمة ذاتها، كلاهما، مازالا مستمرين منه وبسببه. لذلك، ينسب للملائكة أيضًا الحياة الدائمة والخالدة. ومن جهة أخرى تتسم الملائكة بأنها ليس لها خلود أو حياة أبدية خالدة، ذلك لأنها تمنح لهم من غيرهم، من العلة الفاعلة التي تشكل وتديم كل الحياة، أما الحياة الموجودة بذاتها، والحركة الواهبة للحياة، هي من الحياة التي تتجاوز كل حياة وهي مصدر كل حياة(٣٣).

إذن عول ديونيسيوس عى الكتاب المقدس وما يحويه من أسماء وصفات متبعًا المنهج الإيجابى لمحاولة إدراك الجوهر الإلهى على نحو إيمانى إيجابى. وبرغم اعتماد ديونيسيوس على المنهج الايجابي للتعبير عن الذات الإلهية، إلا أنه يظل يؤكد على كون هذا الإله لا يمكن وصفه، بل أجل من أن يوصف. فكيف عالج هذه المسألة؟

بدايًة تجدر بنا الإشارة إلى ما ذهب إليه كريستيان سكافر من أن ديونيسيوس لديه طريقتان مختلفتان لحل إشكالية الحديث عن ما لا يمكن وصفه، وذلك باللجوء إلى اللاهوت السلبي من خلال: استخدام وفرة من المركبات الاسمية التي تعبر عن ما هو فريد وأكثر تميزا مثل "اسمى" و"يتجاوز". أو استخدام النفي كما جاء في كتابه "الصفات الإلهية". وكلاهما منهجين ينتميان إلى التقاليد اللاهوتية القديمة(٣٤).

ولكننا نرى أنه يجب التمييز بين المنهج السلبي الممثل للاهوت السلبي الذي يعني النفي أو السلب، وبين المنهج التجريدي والممثل للاهوت الصوفي، والذي يعبر عن التنزيه، ويستخدم فيه ديونيسيوس مصطلحات تعبر عن الأسمى، المتعالى، الأجل. وهذا ما أوضحه ديونيسيوس نفسه، كما سنرى لاحقًا.

٢- **المنهج السلبي (النفي)**:

إذن كل من اللاهوت الايجابي والرمزي، يشيران إلى ما بعده إلى طريق السلب أي اللاهوت السلبي.والسبب في ذلك كون الله غير معروف في ذاته، أي أنه ليس موضوعًا للمعرفة.من خلال فهمهما يمكننا فهم تجليات الله في الخلق،

(33) Dionysius The Areopagite, Divine Names, Caput VI, Section i, P53.
(34) Christian Schafer, Opcit, P 75.

لكن حين نعي تجليات الله نفسه God s Manifestion، ندرك أن هذا "الواحد" The one الذي يتجاوز تجلياته(٣٥).

يتضح من خلال كتاب الأسماء الإلهية ولكن نحن نتذكر باستمرار أن تأكيداتنا لا ترقى لمستوى الله، وأنه لا يمكن لأي من تصوراتنا المحدودة أن تصل إليه وهو غير معروف. التأكيدات التي نؤكدها في صلواتنا يمكن أن نستمدها من الله، لأن الله يتجلى بصدق في العالم.لكنه ليس موضوعًا للمعرفة، ولا يمكن أن يكون معروفًا، وبالتالي فإنه في الوقت نفسه الذي نبحث فيه عنه تأكيدات على الله، يجب أن ننفي ما أكدناه، وهذا النفي أكثر جوهرية(٣٦).

ويبين ديونيسيوس أنه برغم أن الله "لا اسم له" Nameless لأنه ليس كائنًا، إلا أنه تمت تسميته كحال جميع الأشياء وفي ذات الوقت هو علة كل الأشياء.علة هنا لا تشير إلى كون الله كائنًا، فهوليس كائنًا، بل يتجاوز كل الوجود(٣٧).

ونلاحظ كيف أن اللاهوت السلبي عند ديونيسيوس الذي هو نشاط فكري، يعامل الله كأنه محدود، فإن قول "إن الله ليس كذا أو كذا" يعني أن الله شيئًا ما، كائنًا ما، متميزًا عن باقي الكائنات بسبب اتسامه ببعض الصفات التي تفتقر باقي الكائنات إليها، وبالتالي يكون الله مقيدًا في الفكر. فإن إنكار أي سمة من سمات الله تجعله لايزال يعامل كأنه موضوع تصوري افتراضي(٣٨). ومن هنا يتحدث ديونيسيوس عن المنهج التجريدي Privations.

٣- **المنهج التجريدي**:

لتوضيح معنى التجريد والمستخدم فى اللاهوت الصوفى، تجدر بنا الإشارة إلى أنه ثمة نوعين من التصوف: التصوف السلبى فى مقابل التصوف الايجابى أى التأكيد. السلبى يعنى عدم القدرة على التعبير بإيجابية عن الأشياء أوالحالات

(35) Andrew Louth, The origins of The Christian Mystical Tradition from Plato to Denys, P167.
(36) Ibid, P162.
(37) Eric Perl, Pseudo- Dionysius the Areopagite, P 770.
(38) Eric Perl, Theophany, The Neoplatonic Philosophy of Dionysius the areopagite, State university of New york press, New york, 2007, P13.

(ISSN: 2536 - 9555)

التى يختبرها المتصوف ولا يمكن وصفها على الإختلاف، فهو يتعامل مع ما يتسم بعدم قابلية الوصف بمعنى أخر آجل من أن يوصف.أما التصوف الإيجابى يعنى إمكانية التعبير عن الله بعبارات ايجابية[٣٩]. إذن هناك فرق بين اللاهوت السلبى والتصوف السلبى. واللاهوت السلبى منهجه النفى والسلب، أما التصوف السلبى فمنهجه التجريد من كل علائق الأشياء وتجاوزها.

والتجريد هو ببساطة غياب للفرض المعطى Agiven Predicate. فإن غياب الفرض يعارض وجوده: انعدام الحياة Lifeless يعارض الحياة Living، ولكن عندما نقول إن الربوبية لا توصف بكونها حية، فإننا لا نعني أنها "بلا حياة" Lifeless، فإن الله يتجاوز انعدام الحياة كما يتجاوز الحياة نفسها، لهذا السبب يقول ديونيسوس إن ما نثبته لله لا يتعارض مع ما نقوم بنفيه عن الله، بل يجب تجاوزهما حتى المنفيات يجب أن تنفي[٤٠].

وللدلالة على ماسبق، نشير إلى ما ذكره ديونيسيوس بصدد أهم أفكاره الرائدة، وهي فكرته عن الطبيعة الإلهية في ذاتها In Itself، والتي ترتكز على مذهب الماهية الإلهية الأسمى Super Essential، لذلك يجب علينا في البداية تحديد معنى هذا المصطلح، فكلمة ماهية Essence أو موجود Being تعنى دائمًا وجود فردى، وبشكل خاص الأقنوم Person نظرًا لأن هذا هو أعلى نوع يمكن للوجود الفردى أن يفترضه في هذا العالم[٤١]. فإن الربوبية Godhead ليست الروح Spirit أو البنوة Sonship أو الأبوية Fatherhood، وهي أكثر من كونها عملًا أومطلبًا للفكر[٤٢]. كما أن الله من ناحية أخرى شخصية فائقة لأنه غير محدود Infinite، إنه ليس كائنًا واحدًا لكن يوجد في طبيعته اللانهائية يوجد حيث لا يكون شيء بجانبه. ويمثل الله النوع الوحيد من الإدراك أو الوعى

(39) Gellman, Jerome, "Mysticism", The Stanford Encyclopedia of philosophy, Stanford University, 2019, P7.
(40) Corrigan, Kevin and L.Michael Harrington, Opcit, P 8.
(41) Rolt, Clarence Edwin, Dionysius the Areopagite: On the divine names and the mystical theology, kessinger publishing campany, Montana, U.S.A, P 7.
(42) Corrigan, Kevin and L.Michael Harrington, Opcit, P8.

Consciousness الذي بإمكاننا وصفه بأنه إدراك ووعى الكلي، لا يميز نفسه عنا، لأننا إذ وقفنا عند هذا المستوى فلا بد أن نتحول إليه بالكامل. ومع ذلك نحن نميز بين بيننا وبينه، لأننا من وجودنا المحدود ننظر إلى أعلى ونرى هذا المستوى اللانهائي وراءنا. ومع ذلك فإنه ليس في طبيعته النهائية، فلكي ندرك شيء يعني أنه يكون في حالة يكون فيها موضوع التفكير واعيًا لنفسه ويصبح بالتالي موضوعًا لتصوره Perception الخاص، وهذا مستحيل طبيعة الألوهية النهائية غير المتمايزة، حيث لا يوجد تمايز بين الذي يقوم بفعل التفكير Subject وموضوع التفكير Object، وذلك ببساطة لأنه لا يوجد في هذا المستوى أي تمايز من أي نوع. بالمثل الآلهة لا تعيش بالمعنى العادي، ولا توجد بمفهومنا، لأن الوجود يتناقض مع عدم الوجود وهذا بالتالي ينطبق على العلاقة والتمايزات. فالإدراك أو الوعي، الحياة والوجود، كما نعرفهم هي حالات تتسم بالمحدودية، والألوهية اللانهائية تتجاوزهم(٤٣).

وفي هذا يقول ديونيسيوس: "إذن الأسماء المشتركة للربوبية Deity هي الخير الأسمى، الإله الأسمى، الماهية الأسمى، الحياة الأسمى، الحكمة الأسمى وأي شيء آخر ينتمى إلى أعلى درجات التجريد Superlative Abstraction، والذي معه أيضًا يتم إعطاء كل هؤلاء العلة الرمزية denoting cause، الخير والجمال والوجود، والمنتجة للحياة وأيًا من الأسماء التي تمنح لعلة كل الخير من عطاياه الخيرة. ولكن الأسماء المميزة وهي الاسم الفائق، والماهية الفائقة والمميزة للآب والابن والروح، لأنه لا يوجد التقاء أو اتفاق في هذه بهذه الطريقة. ولكن ثمة تمايزًا إضافيًا، أي الوجود الكامل غير المقيد ليسوع فيما بيننا، وكل أسرار الحب تجاه الإنسان الموجودة فيه"(٤٤).

من خلال ما سبق يتضح كيف أن ديونيسيوس يرى أن استخدام اللاهوت السلبي– والمفضل على اللاهوت الايجابي– سيضفي على الذات الإلهية صفة المحدودية مما يمس ما يتسم به الله من تفرد وتمايز، لذا لجأ ديونيسيوس إلى اللاهوت الصوفي مستعينًا بمنهج التجريد.

(43) Rolt, Clarence Edwin, Opcit, P7 .
(44) Dionysius the Areopagite, Divine Names, caput ii, section iii, 19-20.

(ISSN: 2536 - 9555)

والسوال الآن هل كان استخدام ديونيسيوس لهذه المنهجيات كافيًا لمعرفة الذات الإلهية فى ذاتها، ومن الإتحاد معها. أم اتخذ من الإنطولوجيا سبيلًا للوصول إلى معرفة كافية وأوفى لله؟

ثانياً: دور الأنطولوجيا فى معرفة الجوهر الإلهى

لا شك أن لاهوت ديونيسيوس لم يمكنه من الكشف بجلاء عن ماهية الله، لذا لجأ إلى الأنطولوجيا لمعرفة وافية لحقيقة الذات الإلهية. وهذا الأمر لم يكن لديونيسيوس السبق فيه، فلقد اتبع العديد من الفلسفات الأفلاطونية المحدثة السابقة عليه.ومن هنا كان تناوله لمسالتي ايجاد العالم، وكذا عودة العالم إلى الذات الإلهية.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن كل نظام ميتافيزيقي قديم كان يهدف للكشف عن ماهية العالم الحقيقى من خلال معرفة مبادئه المعلنة والتي– على عكس العالم– تعد مستقلة وغير قابلة للتغير وأبدية.وبطبيعة الحال لم تشذ الأفلاطونية المحدثة عن هذه القاعدة، إذ حاولوا– أكثر من غيرهم من الفلاسفة– سد الفجوة التي بين الواحد أو الخير، وإبداعاته(٤٥). وغالبًا ما يستخدم بروقلس مصطلح "اللاهوت" بهذا المعنى الميتافيزيقي لدراسة المبادئ الأولى الإلهية لجميع الأشياء(٤٦).

وتشير الأنطولوجيا إلى دراسة المبادئ العامة فيما وراء الكون، كما تشير إلى دراسة الكون نفسه بوصفه وجودًا واقعيًا. ومن خلال قراءة أعمال بروقلس، لا وجود لمصطلح الكون cosmology في أي منها، بدلًا من ذلك نجده يستخدم مصطلح اللاهوت بشكل كبير(٤٧).

---

(45) L.M.De Ruk, Causation and Participation in Proclus The pivotal Role of Scope Distinctionin his Metaphysics,on proclus and his influence in medieval philosophy,edited by E.P.Bos and P.A.Meijer, E.J.Brill, Leiden., New york, 1992, P 9-10.

(46) Hekming, Kristoph and Steet, Carlos, "Proclus", Stanford, Metaphysics Research Lab, Stanford University, 2019, P8.

(47) **see:** Laurance Jay Rosan, The philosophy of Proclus, The final Phase of Ancient Thought Instructor in philosophy, PHD, Pennsylvania collage, cosmos, New York, 1949, P99.

ولا شك أن العصور القديمة المتأخرة اعتبرت كتاب "الميتافيزيقا" لأرسطو عملًا لاهوتيًا، ذلك لأن أرسطو في هذا العمل يبحث عن المبادئ الأولى لجميع الكائنات، وهذه المنهجية يمكن أن تسمى "اللاهوت"، وهذا مرجعه الأهمية البالغة للبحث عن المبادئ الأولى للكائنات والعلل الأولية والأكثر كمالًا، دون غيرها.والحقيقة أنه ثمة سابقة لهذه التسمية عند أرسطو نفسه، إذ يصنف ويصف الفلسفة الأولى أو الميتافيزيقا بوصفها لاهوتًا(٤٨). قد أكد ارسطو كون العلم الأول يتعلق بالأشياء المفارقة، والتي لا تتحرك والتي تتسم بالأبدية، بل هي علل للأشياء الناجمة عن الألوهية. ويجب أن يكون العلم الشريف للجنس الشريف، وهذا العلم الأول يؤثر في جميع العلوم الأخرى(٤٩).

ولعل هذا يتضح من خلال ما ذهب إليه بروقلس في تفسير الواقع. يمثل مذهب بروقلس في المبادئ الأولى– بشكل عام– تصورًا إضافيًا لتفسير أفلوطين Plotinus المبتكر للفلسفة الأفلاطونية. ويعترف بروقلس مع أفلوطين في ثلاثة مستويات أساسية من الواقع يطلق عليها "كيانات قائمة بذاتها" Hypostases وهي: الواحد The one والعقل The intellect والنفس The soul(٥٠).

ويتحدث بروقلس عن ثالوث آخر تناوله أفلوطين قبله وهو ثالوث: الوجود والحياة والعقل، إذ ثمة علاقة وطيدة تجمع هذا الثالوث وهي علاقة اللزوم Immanence بين الانبثاق والعودة، ويطلق على هذا الثالوث "ثالوث الثلاثيات" Triad of Triads وهو يمثل المبدأ الأساسي لجميع الهياكل الثلاثية عند بروقلس(٥١).

ولعل النقاش الأكثر وضوحًا عند ديونيسيوس حول اللاهوت السلبي والايجابي نجده في الفصل الثالث من أطروحته القصيرة "اللاهوت الصوفي". اللاهوت

---

(48) Hekming, Kristoph and Steet, Carlos, Opcit, P 8.

(٤٩) أرسطوطاليس، ما بعد الطبيعة، المقالة السادسة، دار ذو الفقار، اللاذقية، ٢٠٠٨، ص١٢١.

(50) Hekming, Kristoph and Steet, Carlos, Opcit, P9.

(51) Ibid, P 9.

(ISSN: 2536 - 9555)

الايجابي ينجم عن الإثباتات لتأكيد وجود الله، الذي هو واحد وثلاثة، من خلال التجسيد إلى المفاهيم التي نستخدمها عن الله والتصورات التي طبقها عليه الكتاب المقدس. ننحدرمع اللاهوت الايجابي، متبعين طريق الانبثاق، كلما ازدادت تفسيراتنا وضوحًا، بينما عندما نتبع طريق العودة نجد اللاهوت السلبي. فإن ثنائي اللاهوت الايجابي والسلبي عند ديونيسوس يتطابقان مع ثنائي الانبثاق Procession والعودة Return. واللاهوت الايجابي Cataphtic مماثل للانبثاق، واللاهوت السلبي Apophatic مماثل للعودة(٥٢).

والآن: كيف مثلت عملية ايجاد العالم منهجًا إيجابيًا لتوضيح أسماء الله الثبوتية التأكيدية؟ وهل اتبع الخلق كما ورد في الكتب المقدسة، أم ارتأي في الأفلاطونية المحدثة خير سبيل لمعالجة تلك المسألة متبعًا طريق الفيض؟ أم حاول المزج بين الاتجاهين؟ ذلك ما سوف نحاول كشف النقلب عنه فيما يلى.

١- نشأة العالم وارتباطها بالمنهج الايجابي:

وهنا لا بد من الانطلاق من هذه الملاحظات:

أولهما: ما تمثله الأفلاطونية المحدثة من خطورة بالغة لكل من ديونيسيوس والمسيحية، خطورة لا تقتصر على عقيدة الفيض Emanation، والتي تنزع إلى حجب الفارق الأساسي لوجود الله ووجود المخلوقات، بل إن التحليل الكامل الذي يقدمه– في هذا الشأن– يؤدى إلى نظام دينى متعدد الشرك Polytheistic. ويجب على ديونيسيوس الذي اجتذبه دقة التحليل الأفلاطوني المحدث للواقع، بوصفه مسيحيًا عرقلة تلك الجوانب من المذهب التي تفتح الباب أمام مذهب تعدد الآلهة(٥٣).

ثانيهما: إن السؤال: كيف يرتبط الواحد بما يأتى بعد ذلك؟ كيف ينبثق العقل من الواحد؟ من أصعب المشكلات في فلسفة أفلوطين Plotinus. إذ يبدو أن أي ربط بين الواحد المتسامى المطلق وبين المتعدد، يتم من خلال كشف النقاب عن طبيعة الواحد. ولقد مثلت محاورة بارمنيدس* مثالًا رائع بالنسبة للأفلاطونيين

(52) Andrew Louth, Apophatic and Cataphatic Theology, P140.
(53) Andrew Louth, Denys the Areopagite, P84.

المحدثين للتفكير في طرق مختلفة يمكن أن يكون عليها الواحد. إذ يبدو أن أفلاطون في هذه المحاورة يقترح نوعًا من المسار، يمتد من الواحد المطلق إلى الوحدة المكونة من التعددية Multiplicity[٥٤].

ثالثهما: لن تنجلى لنا ماهية الواحد ومسألة الإنبثاق إلا من خلال الوقوف على كيفية تناول ديونيسيوس لمحاور ثلاثة وهي: الثالوث المقدس، الوحدة والتمايز، مفهوم المشاركة. وهذا ما نحن بصدد توضيحه الآن.

أ- <u>الثالوث المقدس:</u>

سبق ذكرنا أن الأفلاطونية المحدثة أثرت في ديونسيوس، وبصورة خاصة في آرائه عن الثالوث المقدس، ويحاج بقوة للوصول إلى فكرة الإله الواحد من خلال الأقانيم الثلاثة[٥٥]. **وما يقوله ديونيسيوس** حول الثالوث ينتمى إلى تقاليد اللاهوت البطرياركي اليوناني، لكنه يعبر عن ديونيسيوس بلغة تعول بشدة على مفرادات الأفلاطونية المحدثة[٥٦]. حيث يلعب الثالوث الأفلاطوني الوجود Being والحياة Life والفكر Intellect وظيفة مركزية في مذهب ديونيسيوس[٥٧].

يقدم أفلوطين الثالوث هو الواحد والعقل والروح.بينما يمنح ديونيسيوس صيغة "الآب والإبن والروح القدس". أحيانًا يستخدم أفلوطين لفظ "لوجوس" Logos بدلًا من العقل. فإن الواحد يمثل الآب عند ديونيسيوس. وهو يتحدث عن الآب بوصفه مصدرًا وحيدًا للربوبية[٥٨].

---

*فرضية بارمنيدس تحدث عنها بروقلس بإستفاضة. **انظر:**

Proclus Diadochus, on the theologe of plato,trasns.byThomas Taylor, with an added seventh book from collected material, B1,ch XII, Electronic edition, 2010, P 60:75.

(54) Andrew Louth, Denys the Areopagite, P83.

(٥٥) كوبلستون، تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني القسم الأول، سبق ذكره ص ١٣٥.

(56) Andrew Louth, Denys the Areopagite, P 89.

(57) Sarah klitnic, john Dillon, Dionysius the Areopagagite and Neoplatonist Tradition, P24.

(58) **See:** John Parker, In Defense of The Dionysian Authorship form The complete Works of St. Dionysius the areopagite, introduction with thanks to my stagogy, Rev.john parker, Fr.Dumitru Staniloae, 2015, P7.

(ISSN: 2536 - 9555)

وفي إطار تطوير الفهم الأفلاطوني لدى ديونيسيوس إله المسيحي، يتجنب بعناية تمثل الأقانيم الثلاثة كما وردت في تعريفات أفلوطين للواحد والعقل والروح. بالنسبة لديونيسيوس تقف الأقانيم الثلاثة جميعها– وليس الآب وحده– في مكان الواحد الأفلاطوني أو الخير، وراء العقل والوجود. وجميع أسماء الله باستثناء الآب والابن والروح القدس مشتركة بين الأقانيم الثلاثة(٥٩).

من الواضح أن ديونيسوس– في حديثه عن الثالوث– يستعير مصطلحاته ومخططه السببي من العالم المخلوق ويطبقهما على وجود الله المتعالي، ومثل هذا التفسير لا يمكن أن يكون كافيًا. وكما أشرنا سابقًا يقول ديونيسيوس "لا يمكننا أبدًا فهم كيف يمكن أن يكون الأمر"(٦٠).

على الرغم من أن التمثيلات اللاهوتية Theological Representations ليست موجودة في كتاب الأسماء الإلهية إلا أننا قادرون على جمع محتواها من أوصاف ديونيسيوس الوافية لها في أعماله الأخرى. يبدو أنه كرس نفسه لأسماء الأقانيم الثلاثة داخل الربوبية وكذلك لسماتهم. والتمثيلات اللاهوتية تصف شكلين من أشكال التمايز داخل الله: التمايز بين أسماء الأقانيم، والتمايز بين صفات الأقانيم. تتضمن أسماء الأقانيم: الآب والابن والروح القدس. وتشمل اسماء الصفات: المصدر Source والفروع Offshoot والزهرة Flower والنور Light. ولا يشرح ديونيسوس سبب استخدام المصطلح "تصوير" الافتراضي لهذه الأسماء، ولكن ولعه بالتورية قد دفعه إلى تبنيه، وذلك بسبب تشابهه مع الأقنوم Person، كما أشار إلى كون بعض هذه الأسماء تصف أكثر من أقنوم في الآلهة(٦١).

الآب هو أصل الثالوث، والابن والروح منبثقان منه، ووفق لخطة العلية الثلاثية تكون الصورة كالتالي: الآب يبقى في طبيعته الخيرة الأساسية، بينما يظل

(59) Eric Perl, Pseudo- Dionysius the Areopagite، P769-770.
(60) Torstein Theodor Tollefsen,Activity and Participation in Late Antique and Early Christian Thought, Oxford early Christian studies, oxford uni., press, New York, 2012, P69.
(61) Corrigan, Kevin and L.Michael Harrington, Opcit, P4.

في خيريته بطبيعتها الفردية وينبثق عنه كل من الإبن والروح. والعملية العلية تتحقق في الوقت ذاته– ليس بالمعنى الزمني– عندما يحاول الأقنومان المنبثقان التحول إلى مصدرهما للامتلاء به. ما يحدث أثناء التحويل أنهما يتشكلان من نفس محتوى الخير وبشكل أساسي كمصدرهما، إنهما متمايزان بشكل أقل تناسقًا ولكنهما متطابقان تمامًا مع الآب(٦٢). بينما اعتقد الأرثوذكسيون أن الثالوث واحد غير منفصل، كما يؤمنون بأن الأقانيم الثلاثة متساوية في الجوهر. من البين أن ديونسيوس كان متأثرًا بكل من أفلوطين وبروقلس في أفكارهما عن المبدأ الأول الذي يتجاوز كل تصور في الوحدانية والجوهر وكذلك أفكارهما عن الفيض الإلهي(٦٣).

وبالعودة إلى ديونيسيوس سنجد العديد من أوجه الشبه بينه وبين بروقلس، فعند بروقلس هناك ثلاثة مستويات من الواقع وهي :Henads الآلهة، والمعقولات Intelligences والنفوس souls وهي متوازنة في ثلاثة تسلسلات هرمية Hierarchies لـ ديونيسيوس وهي: النظام الإلهي Thearchy، والتسلسل الهرمى السماوى، والتسلسل الهرمى الكنسى، وهذا هو الثالوث المقدس، والملائكة، والبشر men. يستفيد ديونيسيوس من ثالوث بروقلس ويضيف له من عنده.فكل التسلسلات الهرمية ثلاثية، والنظام الإلهي هو الثالوث، هناك ثلاث فئات من الكائنات الملائكية، وكل فئة تحتوى على ثلاثة أنواع(٦٤).

ب– <u>الفرق بين الواحد والوحدة عند ديونيسيوس:</u>

– <u>الله كآحادى Monad في "الأسماء الإلهية:</u>

إن إله ديونسيوس هو مجموعة من التناقضات الظاهرة، فهو وحدة بلا تمييز يتجاوز كل مخلوقاته، وفي الوقت نفسه يحتوي هذا الكائن البسيط على التعددية التي هي الخلق، وهذا مالا يمكن إدراكه، وكذا لا يمكن المساس به. كما أنه يتدفق

(62) Torstein Theodor Tollefsen, Opcit, P 69.

(٦٣) كوبلستون، تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني القسم الأول، سبق ذكره، ص١٣٥.

(64) Andrew Louth, The origins of The Christian Mystical Tradition from Plato to Denys, P158.

(ISSN: 2536 - 9555)

في شكل الخلق ثم يعيد ذلك الخلق إليه هذا الصراع بين ما يمكن قوله بالإيجاب عن الله بوصفه خالقًا ومبدعًا ونموذجًا أصليًا وواضع الخلاص، يقل بشكل مستمر بسبب ما لا يمكن أن يقال أو يعرف عن الكيان المتعالى. فإن الله واحد وعلة الخلق بأكمله، لكنه غير مُدرَك– بصورة تامة– لهذا الخلق وذلك لكونه يتجاوز اللغة والتعقل المنطقى(٦٥).

يقول ديونيسيوس: "...إننا ندعوه التميز الإلهي من خلال الإنتاج الجيد للربوبية، لأنه من خلال إعطائه كل الأشياء الموجودة وإنتاج الخيرات المنقولة بأكملها وفرة، يتم تمييزه بشكل موحد، ويتضاعف بشكل فريد، يشكل في صور عدة من الواحد، بينما يركز على نفسه.مثلًا الله كائن ذو ماهية متعالية ولكن الوجود إلى الأشياء الموجودة، وينتج كل الماهيات، يقال إن كائنًا واحدا صمم بأشكال عدة عن طريق إنتاج كثير من الكائنات من نفسه في حين أنه لا يزال غير ناقص وواحد في التعددية، وواحد أثناء الإنتاج المتزايد progression، وكامل في السمو سواء كان ماهية متعالية فوق الكائنات أو من الإنتاج الفريد للكل، ومن خلال التدفق غير الناقص من تصنيفاته غير الناقصة"(٦٦).

علاوة على ذلك، كونه واحدًا، وبعد أن قام بتوزيع الواحد على جميع الأجزاء والكليات، على الواحد العددى والكثرة، فإن الله واحد، كما كان، والماهية الفائقة ليس جزءًا من الكثرة، ولا كل من أجزاء، ومن ثم ليس واحدًا عدديًا، ولا يشارك واحدًا، ولا يمتلك الواحد. ولكن علاوة على ذلك فهو واحد The one، فوق كل من الأشياء الموجودة الواحدة والمتعددة غير قابل للتجزئة. ينتج ويتقن ويحافظ على كل شىء أحادى ومتعدد. مرة أخرى من خلال التأليه Deification، من خلال الشبه الإلهي للكثيرين الذين أصبحوا آلهة، وفقًا لقدراتهم المتعددة، يقال إن هناك تمايزًا Distinction وتعددًا للإله الواحد(٦٧). **يقول ديونيسيوس** "...لأنه فيما يتعلق بالأمور الإلهية، الوحدات تفوق الاختلافات وتسبقها، وهي ليست أقل توحدًا حتى بعد التمييز المتمركز حول الذات والموحد. هذه، الفروق المشتركة

(65) Sarah klitnic, john Dillon, Opcit, P 15.
(66) Dionysius the Areopagite, Divine Names, Caput i v, Section i, P29.
(67) Dionysius the Areopagite, Divine Names, Caput i i, Section xi, P24.

للإلوهية كلها، سوف نبذل قصارى جهدنا للاحتفاء بأسماء الآلهة الموجودة في الأسفار، التي تجعلهم معروفين"[٦٨].

عند بروقلس أيضًا يمثل مبدأ الواحد إطارًا ضروريًا لكل الأشياء، والمهم هنا أن يحول الكون الأفلاطوني المحدث إلى مجموع مع حدود واضحة على جميع المستويات. يحوى هذا المجموع بين دفتيه كل من التعددية والوحدة Unity ولكن السابق يخضع دائمًا للاحق. انطلاقًا من هذا المبدأ يصل بروقلس إلى مذهب أحادى Monism صارم، حيث ينتشر الواحد في كل شيء، ولا وجود لشيء لا يمكن احتواءه فيه[٦٩].

ونلاحظ دائمًا ما يذكرنا برقلس أن تصريحاته عن الواحد لا تعبر حقيقة عن ماهية الواحد ولكنها تخمينية نقوم بها من خلال القياس بالمستويات الأدنى[٧٠]. وبرغم كون الواحد متعال فإنه موجود في كل شيء من خلال المشاركة، كذلك الخير برغم أنه غير مفهوم في ذاته، يتصرف بوصفه قوة دافعة أولية لكل ما يحدث[٧١].

- **مفهوم الوحدة:**

لقد ميز ديونيسيوس بين مفهوم الواحد ومفهوم الوحدة. ولقد سبقه إلى ذلك بروقلس. إذ فرق بروقلس بين الوحدة والواحد، كما فرق بين نوعين من الكلي: **أحدهما** مرتبط بالأجزاء "كلي الأجزاء"، **وثانيهما** "قبل الأجزاء". **الأول** يرتبط مع أعضائه المشتركين في فئة ما وينطبق على سلاسل متدرجة ولكن ليس بشكل أحادى. **والثانى** هو النموذج الأصلي الذي يعطى الفئة طبيعتها المشتركة ولكنه في حد ذاته أحادى غير منقسم، وبعيد عن المشاركة المباشرة. **الأول** قابل للتقسيم وقابل للمشاركة، **الثانى** لا يمكن مشاركته لأنه محايد[٧٢].

---

(68) Dionysius the Areopagite, Divine Names, Caput i i, Section xi, P24.
(69) Radek Chlup, Proclus, An introduction, Cambridge university press, Cape Town, 2012, P51.
(70) Ibid, P 56.
(71) Ibid, P 54.
(72) lucas, siorvane, Proclus Neo-Platonic Philosophy and Sciense, Yale university press, 1996, P80.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويذهب بروقلس إلى الموحد Unified، فهو بخلاف الواحد، لأنه إذ كان موحدًا وجب أن يشارك في وحدة Unity بطريقة أو بأخرى، وما يشارك في الوحدة إما أن يكون واحدًا أو ليس واحد، ولكن الواحد The one لا يمكن أن يكون كذلك لأنه إذا كان واحدًا أوليس واحد، ستتألف الوحدة التي يحويها من هذا الزوج من العناصر.إذن الموحد غير الواحد. وكذا إذا كان الواحد مماثلًا للموحد، سيضحى الواحد متعدد بلا نهاية وهذا لا يليق بالواحد The one. وكل متعدد يكون لاحق على الواحد(٧٣).

يرى بروقلس أن كل ما هو ليس متعددًا خالصًا يتكون إما من مجموعات موحدة أو من وحدات إلهية متكاملة ذاتيًا Henads*. والمجموعة الموحدة الأولى تتكون من وحدات متكاملة ذاتيًا، لأنه إذا كانت المجموعة الموحدة الأولى لديها وحدة من خلال المشاركة، عندها ستكون وحدات إلهية متكاملة ذاتيًا مكونة من المجموعة الموحدة الأولى وستضحى بدورها مركبة، وهكذا إلى ما لا نهاية(٧٤).

ويؤكد بروقلس على أن كل إله يعلو على الوجود والحياة والعقل، لأنه إذا كان كل إله وحدة متكاملًا ذاتيًا، في حين أن الوجود والحياة والفكر ليسوا وحدات بل مجموعات موحدة، لذا فإن كل إله يتجاوز المبادئ الثلاثة السابقة(٧٥). ومن هذا المنطلق بدأ ديونيسيوس حديثه عن الوحدة.

---

(73) **See:** Proclus, The Elements of theology, A Revised text with translation, introductionand commentary by E.R.Dodds, props 4-5, oxford university press, London, 1971, P5.

*الهينادز في الفكر الأفلاطونى المحدث عبارة عن كيانات ميتافيزيقية غير قابلة للتجزئة ويطلق عليها وحدات، وهى تعمل على التوسط بين الواحد المتعالى والذى ينبثق منه الكون والأشياء المتعددة في الكون. وترتبط فكرة الهينادز بشكل خاص ببروقلس الذى تصورهم على أنهم يشكلون نظامًا للكائنات الإلهية. **انظر:**

-Difination of Henad by Oxford dictionary on Lexico.com

(74) **see:** Proclus, The Elements of theology, props4-5, P7.

(75) Ibid, prop115, p102.

يرى ديونيسيوس أنه لا يمكننا حتى، بالمعنى الدقيق للكلمة، أن نصف الطبيعة الإلهية اللانهائية بالوحدة، لأن الوحدة تختلف عن التعددية. يجب علينا بدلًا من ذلك وصفها بأنها الوحدة الفائقة Super unity التي ليست واحدة وليست متعددة، ومع ذلك فهي تحتوى- في حالة غير متمايزة- على مبدأ عددى Numerical لا يمكننا فهمه إلا في أشكاله الجزئية Partial كواحد ومتعدد(٧٦).

وحدانية الله تنجم عن كونه فريدًا بالنسبة للكل، ووحدانيته فريدة ولأنه علة الكل دون الانفصال عن كونه واحد، ولأنه لايوجد كائن واحد موجود والذي يشارك في الواحد، ولكن بما أن كل رقم يشارك في وحدة Unit وثنائي واحد، ويتحدث عن ثنائي واحد، وعقد واحد، وتصنيف واحد، وثالث وعاشر، ولذلك فإن كل من الكل والجزء يشارك في الواحد.ومن خلال حقيقة أنه واحد، تكون كل الأشياء الموجودة. وعلة الكون ليست واحد، كواحد من كثيرين، ولكن تتسم هذه العلة بكونها قبل كل ماهو واحد وكل متعدد(٧٧). **يقول ديونسيسوس:**"...نرى تقريبًا في كل الأطروحات اللاهوتية للربوبية التي يحتفي بها دينيًا، على حد سواء آحاد Monad ووحدة Unity بسبب بساطة ووحدة وعدم قابليتها للتجزئة الخارقة للطبيعة والتي نتحد منها، كقوة موحدة، ونحن متحدون، وعندما تدمج تنوعاتنا المنقسمة معًا، بطريقة فائقة للعالم نتجمع في وحدة واتحاد إلهي مشابه، ولكن أيضًا مثل الثالوث Triad بسبب المظهر الثلاثي الشخصى Personal للإبداعات الفائقة، والتي تطلق عليها الأصل Paternity في السماء وعلى الأرض، أيضًا بوصفها علة للأشياء الموجودة، لأن كل الأشياء مع الحفاظ على خصائص طبيعتها الخاصة، لأن كل الأشياء التي ظهرت إلى حيز الوجود بسبب خيرها الخلاق Creative Goodness سواء حكيمة أو خيرة"(٧٨).

لكن من الضروري توضيح النمط الكامل للوحدة والتمايز الإلهيين لرؤية الخطاب كله لرفض أي شيء غامض وغير واضح ولتحديد نقدى متميز للأسماء

(76) Rolt, Clarence Edwin, Opcit, P8.
(77) Dionysius the Areopagite, Divine Names, caput xiii, section ii, P75.
(78) Dionysius the Areopagite, Divine Names, Caput I, section, p 14.

(ISSN: 2536 - 9555)

المناسبة. ولأنه كامل في مكان آخر نجد المعلمين المقدسين يدعون "الوحدات الإلهية" Divine Unions السمو الخفي وغير المعلن للعزلة Isolation الأسمى التي لا توصف Super-Unutterable والمجهول الأسمى Super Unknown. ولكن التمايزات تقدم بشكل جيد مظاهر هذه الألوهية(٧٩).

الألوهية الأن، في حين أنها تتجاوز كل موجود فردى، فإنها تحتوى على الواقع النهائي لكل موجود فردى لأنه يحتوي مسبقًا على جميع المخلوقات الفردية بطريقة تتطابق معها في نهاية المطاف، كما يبدو ضمنيًا. من خلال عبارة أن كل الأشياء موجودة ومدمجة ما زالت متمايزة(٨٠).

ولا يكتفي ديونيسيوس بقبول كون الأقانيم الثلاثة متمايزة منذ الآزل وأن الآب ليس هو الابن ولا الابن هو الآب، بل يقر بأزلية هذا التمايز ويجب التفرقة بينه وبين تجلى الخالق في خلقه، فإن الله واحد كلي خالص لا تمايز في ذاته(٨١). والله الأسمى إله واحد متعال ينقسم إلى أشياء مقسمة وواحدة في نفسه، غير ممتزج وغير متعدد في الكثير(٨٢).

مما سبق يتضح تفرقة ديونيسيوس بين الوحدات الإلهية المتكاملة ذاتيًا وهى الأقانيم الثلاثة، وبين المجموعات الموحدة والتى تنشأ عنها التعددية. وبهذا يفسر كيفية انبثاق ووجود العالم المتعدد عن الواحد.

---

(79) Dionysius the Areopagite, Divine Names, caput ii, Section iv, P 20.

(80) Rolt, Clarence Edwin, Opcit, P11.

(٨١) كوبلستون، تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني القسم الأول، سبق ذكره، ص ١٣٥.

(82) Dionysius the Areopagite, Divine Names, caput i i, section xi, p24.

*يعالج أفلاطون فى الجزء الأول من محاورة بارمنيدس مسألة المثل ومدى تأثر وحدتها بالمشاركات العديدة لها، وهل هذه المشاركات تكون فى المثال كله أم فى جزء منه. وينتهى إلى أن المثال يبقى واحدًا رغم كونه حاضرًا فى أشياء عديدة ومنفصلة.

انظر: أفلاطون، محاورة بارمنيدس لأفلاطون، ترجمة حبيب الشاروني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، ١٣٠هاء:١٣١هاء، ص ٢١:١٧.

ج- مفهوم المشاركة Participation والتمايز Differentiation عند ديونيسيوس:

- **مفهوم المشاركة عند ديونيسيوس:**

بداية لا بد من عرض موقف بروقلس من فكرة المشاركة، إذ يرى بروقلس أن هذه الفكرة تشرح ماهية العلاقة بين العالم المحسوس والواقع المعقول الذي ترتكز عليه العديد من المشكلات التي طرح أفلاطون الكثير منها في الجزء الأول لمحاورة بارمنيدس*. واللغز يكمن في كيفية كون المثال أو النموذج واحدًا ومتماثلًا، ويوجد ككل في العديد من المشاركات Participants. والهدف هنا هو الحفاظ على فكرة التتالى وفي ذات الوقت الحفاظ على وحدة النموذج، مع السماح بوجودها في المشاركين. ويطبق بروقلس فكرته عن المشاركة لإماطة اللثام عن الإشكالية الأكثر صعوبة، والتي تواجه الميتافيزيقا الأفلاطونية المحدثة، وهي كيفية فهم مسألة انبثاق المتعدد من الواحد دون أن يمس ذلك بالواحد؟ يجيب بروقلس بأن الواحد في حد ذاته يظل غير مشاركًا، وما يفيض عنه من كائنات مختلفة، يشارك في سلسلة من الوحدات الإلهية Henads المشاركة. ويمكن اعتبار عقيدة الوحدات الإلهية وسيلة لدمج مذهب الألوهية التقليدى للعقيدة اليونانية المشركة، في عقيدة الأفلاطونية المحدثة ومفهومها للواحد(٨٣).

وبحسب النظرية السابقة، كما أخذها ديونيسيوس من بروقلس، لا يتغير المبدأ الأول ولا ينتقص إذا صدرت عنه الموجودات. وهكذا يرى ديونيسيوس أن الله وإذ يمنح الوجود لكل ما هو موجود فكأنه يتكاثر بإصداره لها منه هو بالذات. ويبقى واحدًا حتى في عمله هذا الذي هو "تكاثر الذات" ودون أن يحدث أدنى تغيير بفعل عملية الفيض هذه، الله هو العلة المتسامية لكل شيء. خلق كل شيء بتوسط الأفكار أو المثل الموجودة فيه(٨٤).

ويشير ديونيسيوس إلى أنه بالرغم من مشاركة هذه الأشياء للألوهية والتي هي علة الكل، إلا أن الألوهية تتسم بالحيادية برغم تواصلها مع هذه الأشياء. مثلها

(83) **See**: Hekming, Kristoph and Steet, Carlos, Opcit, P 9.

(٨٤) علي زيعور، الفلسفة في أوربا الوسيطة وعصرى النهضة والإصلاح، سبق ذكره، ص٢٣٥.

(ISSN: 2536 - 9555)

مثل الختم، فجميع طباعاته هي الشيء نفسه بصورة كلية ليست جزئية[٨٥]. فالختم هو العلة لأنه يضفي نفسه على الجميع وبنفس القدر لكل واحد، لكن اختلاف المستقبل يجعل الأشكال والرموز متباينة، ولكن يظل النموذج الأصلي واحد وكامل ونفس الشيء. ويعطى ديونيسيوس مثلًا على ذلك بالشمع، فإذا كان الشمع ناعمًا وقابلًا للتأثر، ومرنًا ولم يكن صلبًا، فسيكون الشكل واضحًا وثابتًا، ولكن إذا افتقر إلى ما سبق، سيكون هذا سببًا لعدم المشاركة وعدم التشكيل وغير واضح، وأي شيء آخر ينشأ عن عدم القدرة على الإستقبال[٨٦].

- **مفهوم التمايز عند ديونيسيوس:**

فيما يتعلق بالتمايز يشير ديونيسيوس إلى وجود بعض الوحدات والتمايزات، على سبيل المثال فيما يتعلق بالوحدات الإلهية أي الماهيات الأسمى، نجد ثمة قرابة واشتراك مع الواحد المنبثق Springing one، والثالوث، والماهية الفائقة، والمصدر والألوهية Deity. كل هذه الأشياء لها مسميات وهي الخير الأسمى، الخيرية، الهوية العليا لكل ما هو أسمى، الخاصية الوحدانية فوق مصدر الواحد الذي لا يوصف، المفهوم من قبل الجميع، ما هو فوق الإثباتات والتجريد، إن الثبات Abiding والصمود Steadfastness، في بعضهما بعضًا، متحدان تمامًا وفي الوقت نفسه لا يختلطان بأي حال من الأحوال بالأقانيم المنبثقة، مثلها مثل أضواء المصابيح في المنازل كل منها يكون متميز تمامًا عن الآخر وتكون واحدة في التمايز ومميزة في الاتحاد. فقد نرى منزلًا به العديد من المصابيح، أنوارها متحدة لتشكل ضوءًا واحدًا محددًا ولها إشراقة واحدة مشتركة، بحيث يكون من الصعب تحديد ضوء مصباح معين دون غيره من المصابيح، وذلك لأنهم توحدهم معًا دون امتزاج. ولكن إذا أخرج شخص ما أحد هذه المصابيح من الغرفة فإن الضوء الذي يخص هذا المصباح سيغادر معه[٨٧].

بينما في الألوهية غير المتمايزة Un Differentiated، فإن الأقانيم في الثالوث يتجاوزون أنفسهم ويصلون إلى منطقة يدمجون فيها.حتى الآن في هذا

(85) Dionysius the Areopagite, Divine Names, caput ii, Section v, P21.
(86) Dionysius the Areopagite, Divine Names, caput ii, Section vi, P21.
(87) Dionysius the Areopagite, Divine Names, caput ii, Section iv, P20.

الجانب من طبيعتها التي تتطلع نحو الكون فهي تتألق إلى الآبد وهي تحت تأثير تلك "الآشعة الخارقة" التي يتم من خلالها إعطاء كل ضوء لنا، ومن أين تتدفق كل الطاقة إلى فعل الخلق؟ من خلال تفاعلهم(٨٨).

وبدلًا من التميز بين الواحد The one والآلهة، فإن ديونيسيوس له تمييز مختلف إلى حد ما في أن الموجود بنفسه being itself وما إلى ذلك يطبق على الله، ولكن بطريقتين: إما على الله نفسه، أو على نشاطه في العالم. ويشير هذا إلى التمييز بين ماهية الله Essance أو طاقاته Energies الموجود عند القديس جريجوري بالاماس st Gergory Palamas (١٢٦٩-١٣٥٩) وغيره من اللاهوتيين البيزنطيين (بل والأرثوذكس المحدثين). هذا المثال يكشف عن عدم انتظام أو ربما مفارقة Paradox في لاهوت ديونيسيوس، على عكس الأفلاطونية المحدثة. ديونيسيوس يحاول هنا شرح كيف يمكن الإشارة إلى الله بوصفه: الموجود بذاته Being itself، ومصدرًا للوجود بذاته Being itself. تم التوفيق بين هذا التناقض عند الأفلاطونيين المحدثين أتباع بروقلس من خلال تطبيق هذه المصطلحات المختلفة على كيانات مختلفة وعلى مصدر الكل. ما وراء الصفات، وهو الواحد، بعدها يتم تطبيق الصفات على الموجودات المختلفة التي تنبثق عن الواحد وهي الوحدات الإلهية The Henadas. بدلاً من هذه البساطة المنطقية يريد ديونيسيوس التحدث عن صفات الواحد الذي يتجاوز الصفات(٨٩).

ولقد لجأ ديونيسيوس لذات الحل الذي كان يناصره الأفلاطونيون، كما استخدم الأفلاطونيون المحدثون من أفلوطين، وهو الفرضيتين الأولى والثانية من بارمنيدس لوصف وحدة وتعدد الكون الذي يمثله على التوالى "الواحد". استخدم ديونيسيوس لغة من بارمنيدس لوصف كيف يمكن للإله الواحد البسيط أن ينشأ عالمًا معقدًا، ولكن بفارق كبير جدًا(٩٠).

وتجدر بنا الإشارة إلى أن أفلاطون، فى الجزء الثانى من محاورة بارمنيدس، عرض لمجموعة من الفرضيات وعددها ثمان، لمناقشة طبيعة الواحد البسيطة

(88) Rolt, Clarence Edwin, Opcit, P11.
(89) Andrew Louth, Denys the Areopagite, P87.
(90) Sarah Klitnic, John Dillon, Opcit, P33.

(ISSN: 2536 - 9555)

وكيفية خروج المتعدد أو الكثرة منها. دارت الفرضية الأولى حول ما ينتج عن افتراض أن الواحد غير موجود، الفرضية الثانية ناقشت ما ينجم عن الفرض أن الواحد موجود، أما الثالثة عالجت الفرض إذا كان الواحد موجودًا، فما هى النتائج اللازمة عن هذا بالنسبة للأخرين أى من هم غير الواحد[٩١]. وبعد إنتهاء أفلاطون من عرض فرضياته بأكملها، أجمل ما توصل إليه **من نتائج فيما يلى** "إذن ألسنا نقول بتلخيص كل شئ فى الآتي: إذا كان الواحد ليس موجودًا فلا شئ يوجد؟– الصدق بالتأكيد– إذن نقول ذلك، هذه ونقول أيضًا سواء أكان الواحد موجودًا أم ليس موجودًا، فإن جميع علاقات الواحد والآخرين فيما يبدو سواء بذاتهم أم فى تبادلها ومن جميع وجهات النظر الممكنة، هذه العلاقات كلها تكون قائمة ولا تكون، ويبدو أنها تكون قائمة ويبدو أنها لا تكون– هذه حقيقة مطلقة"[٩٢].

الفرضية الأولى في بارمنيدس، التي تستخلص استنتاجات سلبية من الإفتراض "الواحد" يطبقها ديونيسيوس على الله بوصفه مبدأ أول متعاليًا واستخدم هذا النص للتعبير عن عدم وضوح الله من خلال سلسلة النفي. وفيما يتعلق بالفرضية الثانية التي تستخلص نتائج إيجابية من نفس المقترح، فإن ديونيسيوس يختلف بشكل كبير عن الأفلاطونيين المتأخرين أمثال أفلوطين وامبليكوس Iamblichus وسريانوس Syrianus وبروقلس. وبينما ينسب بروقلس الفرضية الثانية لبارمنيدس إلى عالم الكينونة، مع الواحد الذي يتجاوز الوجود وكل ما يرتبط به. أرجع ديونيسوس الفرضية الثانية أيضًا إلى الله، ومن خلال عزو كلتا الفرضيتن إلى الله، فإن ديونيسيوس قادر على وصف الله بأنه واحد ومركب في ذات الوقت[٩٣].

لقد رأينا أهمية الأفلاطونية المحدثة المتأخرة في تفسير الفرضيات المتوالية Successive Hypotheses للجزء الثانى من بارمينيدس: **الفرضية الأولى:** تسفر عن الواحد الذي لا يمكن أن يقال عنه شيء على الإطلاق.. **الفرضية الثانية:** تسفر عن تجليات إلهية يمكن قول شيء ما عنها. هناك فرق واضح بين

---

[٩١] **انظر**: أفلاطون، محاورة بارمنيدس لأفلاطون، سبق ذكره، ١٣٧ج: ١٦٦ج، ص١١٠:٣٧.

[٩٢] المرجع السابق، ١٦٦ج، ص١١٠.

[93] Sarah Klitnic, John Dillon, Opcit, P33.

اللاهوت السلبي (والذي يعبر عن النفي)، واللاهوت الايجابي (الذي يعبر عن الإثبات). اللاهوت السلبي ينطبق على الواحد، والايجابي على الوحدات الإلهية Henads وغيرها من مظاهر التجليات الإلهية للواحد(٩٤).

يقول ديونيسيوس: "نجد الخير – مثلًا– معروف من قبل اللاهوتين المقدسين بأنه الجميل Beauty أو الجمال، الحب والمحبوب، وجميع الأسماء الإلهية الأخرى التي تبدو جميلة ومستحسنة، ولكن الجميل والجمال لا ينقسمان، فيما يتعلق بالعلة التي احتوت الكل في واحد. بالنسبة إلى كل الأشياء التي خلقت من خلال تقسيمها إلى مشاركات Participations ومشاركين Participants فإننا ندعو الجميل أنه ما يشارك في الجمال، ولكن الجمال فهو مشاركة العلة الجميلة لكل الأشياء الجميلة. ولكن الجمال الأسمى يسمى Beauty بسبب الجمال الذي ينقله من نفسه إلى كل الأشياء الجميلة، بطريقة مناسبة لكل منها، وبوصفها علة للإنسجام Harmony والسطوع Britghtness الخير للجميع الأشياء التي تشرق مثل الضوء لجميع توزيعات الجمال من شعاعها الخطى Fontal لذلك أيضًا، الجميل مطابق للخير، لأن كل الأشياء تطمح إلى الجميل والخير، وليس هناك شيء موجود لا يشارك في الجميل والخير... حتى غير الموجود يشارك في الجميل والخير"(٩٥).

لقد استخدم ديونيسيوس الجمال من جانبين، وهذين الجانبين مستمدين من تجليهما لفرضيات بارمنيدس، وهما الجمال Beauty من جهة، والجميل Beautiful الذي يشارك الجمال من جهة أخرى، فإن الجمال يتلاءم مع كل من: الله في ذاته، والله في إفصاحه الذاتى عن التواصل الذي يحدد بنية فحص الجمال بوصفه إسمًا إلهيًا(٩٦).

(94) Andrew Louth, Denys the Areopagite, P87.
(95) **see**: Dionysius The Areopagite, Divine Names, Caput i v, Section vii, P 32-33.
(96) Brendan Thomas Sammon, The God who is Beauty, James clark-co, Cambridge, 2013, P156, 157.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويتبع ديونيسيوس في فهمه للخلق، تعريف العقيدة الأفلاطونية المحدثة لمفهومى البقاء والإنبثاق. ومصطلح البقاء يشير إلى احتواء الموجودات في مصدرها العلى دون تمايز. بينما الإنبثاق يعني التمايز، حيث يتم تشكيل المعلولات كحقائق منفصلة عن بعضها البعض، وكذا منفصلة عن العلة؛ وبالتالي فإن إنتاح أو صنع العالم بالنسبة لديونيسيوس وفلاسفة الأفلاطونية المحدثة هو مظهر من التعددية المعقولة لمبدأها، وليس تكوين كائنات إضافية على المبدأ الذي صنعها. إذن الخلق هو تجلى للذات الإلهية، والمعروفة لكل الأشياء على أنها كمالاتها العقلية(٩٧).

وكما ذهب بروقلس يمثل البقاء Remining والانبثاق Procession والعودة Reversion، الخطة الأفلاطونية المحدثة الكلاسيكية الثلاثية، فالشيء ينبثق من نفسه إلى التعددية Multiplicity ويعود مرة أخرى إليه، مع الحفاظ على هويته المميزة دون تغيير. والشيء المنبثق يتشكل ويتغير وفق الظروف التي يوجد فيها. **فمثلًا:** الحياة تصبح حيوانية وبشرية، ومع ذلك فإن ما ينحدر إلى التعددية يجب ألا ينفصل عن حالته الأصلية، إذ لو حدث ذلك سيفقد صورته(٩٨).

٢- المنهج السلبي والمنهج التجريدي وارتباطهما بمفهوم العودة:

إن العلاقة بين المخلوقات والله مزدوجة المنحى: صدرت عنه، ثم تتشوق للعودة إليه، إنها فكرة أفلاطونية محدثة احتلت مكانة فريدة ومميزة في التصوف والفكر الوسيط(٩٩). يعمل ديونيسيوس من خلال المنطق الأفلاطوني للفيض والعودة، اللاهوت الايجابي يتوافق مع الفيض الإلهي أو الانبثاق الذي يتم من خلال خلق كل الأشياء. والسلبي، أي إنكار هذه الأسماء نفسها، يوفر وسيلة

(97) Eric D.Perl, Pseudo Dionysius, Acompanion to philosophy in middle ages, edited by Jorge J.E.Gracia.Timothy B.Noona, Blackwell Publishing, P542.

(98) Lucas Siorvanes, Proclus, Neo-Platonic Philosophy and Sciense, Yale university press, 1996, 105.

(٩٩) علي زيعور، الفلسفة في أوربا الوسيطة وعصرى النهضة والإصلاح، سبق ذكره، ص٢٣٦.

للعودة إلى الله بوصفه مصدرًا للخلق، كما يشرح ديونيسيوس في أطروحته القصيرة اللاهوت الصوفي(١٠٠).

ولقد رأينا كيف أن اللاهوت الايجابي لا يقل أهمية عن اللاهوت السلبي، حيث إن ما يثبته لله من صفات تأخذنا فيما وراء ما نستطيع إدراكه: تكشف عقيدة الثالوث عن الله أنه غير معروف ولا يتجاوز قدراتنا على الفهم بقدر ما هو غير معروف لذاته(١٠١). ويؤكد ديونيسوس كما فعل بروقلس، أن المنفيات المطبقة على الله لا تعنى افتقاره إلى بعض الصفات، ولكنه يتجاوزها. وهو يعبر عن هذا الاقتناع بإضافة مصطلح (ماوراء) للصفات(١٠٢). ومن ثم يشرح ديونيسيوس اللاهوت الصوفي، أنه برغم الصعود إلى علة كل الأشياء، وجب علينا– في مرحلة ما– نفي كل صفات الأشياء، سواء أكانت عقلانية أوحسية، وبعدها نحرره من كل الصفات ونتجاوزها(١٠٣).

ولا غرو أن منهجية ديونيسيوس في استخدامه لمنهجي السلب والتجريد تتضح بشكل جلى عند محاولة الإجابة عن السؤال التالي: كيف نعرف الله ومن ثم نتحد معًا؟

يذهب ديونيسيوس أن الاتحاد مع الله يتطلب المران بلا انقطاع على التأمل الصوفي وطرح الحواس والأفعال العقلية، والذهاب بقوة فائقة للطبيعة إلى الوجود الكامن وراء كل ماهية وكل فكر، ذلك مالا يدركه من يعولون على عقولهم في إدراك الموجود الذي "اتخذ من الظلمة مقامًا" كما يقول النبى داوود، حين تخلص النفس من العلم المحسوس وكذا المعقول، تدخل في ظلام جهل مقدس وتفنى في الموجود غير المنظور غير المدرك وتتحد به بنسبة حسب انصرافها عن

(100) Amy Hollywood, Patricia Z.Bechman, the Cambridge companion to Christian mysticism, Cambridge unive, press, 2012, P12.
(101) Andrew Louth, The origins of The Christian Mystical Tradition from Plato to Denys, P161 .
(102) Andrew Louth, Apophatic and Cataphatic Theology, the Cambridge Companion to Christian, P140.
(103) Eric Perl, Theophany, P13-14.

(ISSN: 2536 - 9555)

الاستدلال وتستمد من ذلك الجهل المطلق، معرفة تفوق العقل وتجرؤ على سلب كل شيء عن الله، للولوج في ذلك الجهل السامي(١٠٤).

ولا يتم الشروع في طريق السلب إلا من خلال نفس ظهرت منها وصعدت بالفعل إلى مستوى من التأمل الطبيعي، تأمل الله في العالم.وبعدها تصعد الروح أكثر من خلال إنكار ما يعرفه.وكما نرى لا يزال ديونيسيوس هنا أفلاطونيًا للغاية(١٠٥). **ها هو يقول:** "نحن نلقى بأنفسنا بكل ما وسعنا نحو الشعاع الفائق، الذي يحوى كل أنواع المعرفة الماوراء الوجود بطريقة تتجاوز كل تعبير، وهو أمر لا يمكن تصوره أو التعبير عنه بأي شكل من أشكال التفكير نظرًا لوجودها بشكل بارز Pre- Eminently فوق كل الأشياء، مجهولة للغاية، ولامتلاكها مسبقًا الماهية المتعالية، كل الكمالات لجميع أنواع القوة والمعرفة الأساسية، وثباتها بقوة من خلال قوتها المطلقة، فوق الكل، حتى العقول السماوية الفائقة، لأنه إذا كانت جميع أنواع المعرفة موجودة بالفعل، وتقتصر على الأشياء الموجودة، فإن هذا، والذي يتجاوز كل ماهية يعلو على كل معرفة"(١٠٦).

ومع ذلك إذا كانت أسمى من كل تعبير ومعرفة، متجاوزة للعقل والماهية، وهي في ذاتها غير مفهومة تمامًا للجميع، ...إذن ماهي الطريقة التي يمكن بها لأطروحتنا تستكشف بدقة معنى الأسماء الإلهية، عندما يكون الإله ماهية متعالية، سيصبح بدون اسم، وفوق كل اسم(١٠٧)؟

ولكن مثل هذا السلب يأخذنا إلى المكان حيث الله موجود، وليس لله نفسه.ثم تكتشف الروح في الظلام العميق حيث يكون الله، وفي سلبية كاملة تتحد مع الله غير المعروف بطريقة غير معروفة(١٠٨).

---

(١٠٤) يوسف كرم، سبق ذكره، ص ٥٦.

(105) AndrewLouth, The origins of The Christian Mystical Tradition from Plato to Denys, P168.

(106) Dionysius the Areopagite, Divine Names, caput i, section IV, P15.

(107) Dionysius the Areopagite, Divine Names, caput i, section v, P15.

(108) AndrewLouth, The origins of The Christian Mystical Tradition from Plato to Denys, P169.

يقول ديونيسيوس أنه بعد توقف كل الكلام، والقراءة وفهم الأسماء، يتبعهم الصمت الإلهي Divine Silence، والظلام Darkness، والمجهول Unknowing. كل هذه الخصائص الثلاثة تبدو Privative حرمانية، كما لوكانت مجرد غياب للكلام، والمشهد، والمعرفة على التواليRespectively[١٠٩].

ولكن ديونيسيوس هنا لا يعالج هذه المسألة وفق منطق الخصوصية، بل يستخدم اللغة الزمانية Temporal والمكانية Spatial لوضع علامة على مكان ووقت خاصين لهما. يستخدم ديونيسيوس مثالًا يحتذى به في صعود موسى جبل سيناء في الكتب المقدسة العبرية، ويقول إنه بعد أن صعد موسى من خلال التأمل المنطقي والعقلي لله، بعد ذلك دخل الظلام في أعلى قمة الجبل، يقع الظلام فوق الجبل وموسى يدخله بعد تأمله في الله بأشكال اللاهوت المختلفة[١١٠].

ويعرف اللاهوت الصوفي بكونه علمًا ذوقيًا ممنوحًا من الله، وهو علم يفوق الطبيعة بموضوعه ووسائله، فالإنسان بقوته الطبيعية ليس بإمكانه بلوغ الذات الإلهية، بل إن الله هو من يجذب الإنسان إليه ويرفعه إلى بهائه الذي لا يدركه العقل، بل يستشعره القلب ويحبه ويعبده[١١١]. **يقول ديونيسيوس:** "وبما أنه بالتناسب مع صعودنا لأعلى، تقيد جميع أنواع التعبير في هذه الدرجة من خلال تأمل الأشياء الواضحة، كما هو الآن، عندما ندخل في الظلام الذي هو يعلو على العقل، سنجد، ليس القليل من الكلام، بل الغياب التام للحديث، وغياب التصور. وفي الحالة الأخرى، يتم توسيع الخطاب، بصورة تنازلية من الأعلى للأدنى... إلى حد متناسب، لكن الآن في الصعود من الأسفل للأعلى، بالتناسب مع الصعود... وبعد الصعود التام، سوف يصبح بلا صوت بالكامل وسيتم توحده بالكامل مع ما هو أجل الوصف"[١١٢].

---

(109) Corrigan, Kevin and L.Michael Harrington, Opcit, P8.
(110) Ibid, P8.
(١١١) يوسف كرم، سبق ذكره، ص ٥٦.
(112) Dionysius the Areopagite, Mystic Theology, Caput iii, Section i, p83.

(ISSN: 2536 - 9555)

ولكن ما هو الظلام الإلهي؟

ما هو الظلام الإلهي Gloom؟ الثالوث الأسمى السماوى، سواء كان إلهًا أسمى أو خيرًا أسمى، يوجهنا إلى المعرفة الأسمى والروعة الفائقة والقمة العالية، .حيث تكمن أسرار اللاهوت البسيطة والمطلقة وغير المتغيرة في ظلام الصمت الفائق الإشراق، وتكشف عن الأشياء الخفية التي تشرق في أعماق بل وفي أعلى الإشراق الفائق. والتي تكون في مجملها غير محسوسة وغير مرئية، تملأ لتفيض على عقول بلا عيون مع أمجاد تتجاوز الجمال(١١٣).

ومثل جوريجوري أوف نيصا Gregory of Nyssa، ديونيسيوس يتحدث عن صعود الروح باستخدام تشبيه صعود موسى للجبل المقدس(١١٤). **يقول ديونيسيوس:** "حتى موسى المقدس نفسه مطالب بشدة بالتطهير Purified أولًا، ثم يفصل عن أولئك الذين ليسوا كذلك. وبعد التطهير الكامل يسمع الأبواق كثيرة الأصوات، ويرى العديد من الأنوار، وتسلط أشعة نقية متدفقة، ثم يفصل عن الجموع، ويذهب أولًا مع الكهنة المختارين إلى المرتقى أوالقمة الإلهية، وحتى ذلك الحين لا يجتمع مع الله نفسه– الكلي القدرة– ولا يراه لأنه لا يمكن رؤيته، وما يراه هو المكان الذي يوجد فيه الله"(١١٥).

هذه هي مساحة التصوف عند ديونيسيوس، إن ظلام عدم المعرفة لا يرجع إلى كون ما يصبو إليه العقل غير مدرك في حد ذاته، وإنما يرجع إلى محدودية العقل البشري إزاء فيض النور الرباني(١١٦). إن التناقض المتبادل بين النور والظلام، المعرفة والجهل، الحديث والصمت والذي يدور طوال عمل ديونيسيوس هو جزأ لايتجزأ من التقليد الباطني الصوفي حتى في تلك الأوقات والأماكن التي لم تكن المجموعة الديونيسيوسية معروفة فيها بشكل مباشر(١١٧).

---

(113) Dionysius The Areopagite, Mystic Theology, Caput i, Section i, P80.

(114) Andrew Louth, The origins of The Christian Mystical Tradition from Plato to Denys, P167.

(115) Dionysius the Areopagite, Mystic Theology, Caput i, Section iii, P81.

(١١٦) كوبلستون، تاريخ الفلسفة، المجلد الثاني، القسم الأول، سبق ذكره، ص ١٣٤.

(117) Amy Hollywood, Patricia Z.Bechman, Opcit, P13.

ويؤكد ديونيسيوس أنه من خلال مجهوداتنا المستمرة مع الرؤى الصوفية، نترك وراءنا كل التصورات المحسوسة والمعقولة، وكل موضوعات الحس والفكر، وكل الأشياء غير الموجودة وتلك الموجودة، ونرتفع عاليًا إلى الوحدة، ونصبح مع الذي يتجاوز كل ماهية وكل معرفة، فمن خلال الاستسلام والنشوة المطلقة، والنقاء الالكلي لأنفسنا من كل شيء، نحمل إلى أعلى الشعاع الأسمى للظلام الإلهي، إذ نكون متحررين من كل شيء(١١٨). **وها هو ديونيسيوس يقول:** "...بعد ذلك دعونا نرتفع بأنفسنا من خلال صلواتنا إلى المرتقى من خلال الأشعة الإلهية الخيرة. كما لو أن سلسلة مضيئة مشرقة متدلية من المرتفعات السماوية، تتدلى لأسفل هنا، فإننا من خلال التشبث بهذا... أولًا بيد واحدة، ثم بالأخرى، يبدو أننا نسحبها بالفعل، ولكن في الواقع هي تسحبنا، فهي أعلى وأسفل على حد سواء، لكننا نحمل صعودًا إلى الإشراقات الأعلى للأشعة المضيئة. أو مثلما بعد أن شرعنا في سفينة، ويتمسكون بمرساة تصل من بعض الصخور... نحن لا نسحب الصخور إلينا، في الواقع أنفسنا والسفينة ننسحب إلى الصخرة"(١١٩).

وفي هذه المرحلة– يوضح ديونيسيوس– أن رؤية الله تتم بوصفا علة أسمى للكل، ويشير إلى إن هذه العلة الأسمى الفائقة لكل موضوع من الإدراك أالحسي، ليست من موضوعات الإدراك أالحسي Sensible Preception. وحينها نقول إنه علة الكل الذي هو فوق كل الكل، ولا يخلو من الوجود، ولا يخلو من الحياة، ولا يخلو من الفكر، ولا يخلو من العقل، كما أنه لاجسم ولا صورة ولا كيف، ولا كم، لا حجم، ولا في مكان، ولا يرى، وليس لديه اتصال حسى ولا تصور، ولا تدركه الحواس، وليس به فوضى أو ارتباك، وليس عاجز، ليس في حاجة للضوء. كما أنه لا يتغير أو يحتاج للتغيير، أو يتحلل، أو الانقسام أو النقص، أو التدفق أو أي شيء آخر مما يتعلق بموضوعات الحس(١٢٠). نلاحظ أن في هذه المرحلة يستخدم اللاهوت السلبي والصفات السلبية.

(118) Dionysius The Areopagite, Mystic Theology, Caput i, Section i, P80.
(119) Dionysius the Areopagite, Divine Names, caput ii i, section i, P26.
(120) Dionysius The Areopagite, Mystic Theology, Caput IV, Section i, P84.

(ISSN: 2536 - 9555)

يرى ديونيسيوس إن العلة الأسمى لكل موضوعات الإدراك العقلي ليست من أحد موضوعات الإدراك العقلي Intelligible Preception. من ناحية أخرى صعودًا نحن نقول إنها ليست نفسًا، ولا عقلًا، وليس لديها خيال، أو رأي، أو علة، أو تصور، لا يتم التعبير عنها ولا تصورها، ولا رقم ولا ترتيب ولا كبر ولا صغر ولا استواء ولا عدم استواء، ولا تشابه ولا اختلاف، ولا سكون ولا حركة، ولا قوة ولا ضوء، ولا حياة ولا ماهية ولا خلود ولا زمن...هو فوق كل تجريد Abstraction"[١٢١].

من البين أن نظرية ديونيسيوس في التصوف، رغم ارتكازها على النصوص المقدسة، كلها أفكار متأثرة ومشبعة بالأفلاطونية المحدثة. كما تأثرت بالنظريات الدينية الأخرى والتي منها:فكرة الوحدة المطلقة، مبدأ غاية الأشياء، فكرة التعدد الذي يصدر عنها ثم يرجع إليها.ونظرية الطرق الثلاثة: التطهيرية، الإشراقية، التوحيدية.وكذا نظرية الوجد الذي يعطى النفوس الكاملة، حتى وهي في الدنيا، رؤية حدسية.كل هذا يضفي على تصوفية ديونيسيوس المنحول صبغة أفلاطونية محدثة، وتمثل كذلك عودته بعقائده المسيحية إلى ما تلقاه في صغره ووثنيته[١٢٢].

ولا يجب أن يفهم من ذلك كله أن ديونيسيوس حجب عقيدته وضحى بها في سبيل تلك الفلسفة، إذ إن صلب المعتقدات بقى هو عينه ولم يتبدل، وإن بدا للبعض أن بقايا من الوثنية تنضح من ثنايا المؤلفات. كل ما في الأمر صراع بين الفلسفة الأفلاطونية المحدثة التي اعتنقها والمعتقدات الدينية التي يؤمن بها، وعند الاصطدام بين هذه وتلك كانت السيطرة تكتب للجانب الفلسفي[١٢٣].

---

[121] Dionysius the Areopagite, Mystic Theology, Caput v, Section i, P85.

[١٢٢] علي زيعور، الفلسفة في أوربا الوسيطة وعصرى النهضة والإصلاح، سبق ذكره، ص٢٣١.

[١٢٣] علي زيعور، الفلسفة في أوربا الوسيطة وعصرى النهضة والإصلاح، سبق ذكره، ص٢٣١-٢٣٢.

الخاتمة

لا شك أن ما ميز ديونيسيوس عن أسلافه المسيحيين والأفلاطونيين المحدثين، عبقريته وكذا جرأته. ويرى البعض أن أصالة ديونيسيوس تكمن في توليفه الشامل لمنهج السلب المسيحي والفلسفة الأفلاطونية المحدثة. وسعيه الدؤوب نحو المتعالي، الأمر الذي دفع ديونيسيوس في النهاية إلى إنكار كل من الثالوث والوحدة. وتجدر الإشارة إلى أن مؤلفات هذا الفيلسوف– الأكثر مراوغة للطريقة الأبوية– قدمت أقوى سرد للاهوت السلبي حتى الآن في الفكر المسيحي(١٢٤). فإن ما حافظت عليه الأفلاطونية المحدثة البروقلسية منطقيًا ووجوديًا، بصرف النظر، جمعهما ديونيسيوس معًا في مفارقة صارخة. الله يكشف شيئًا عن نفسه يمكننا تأكيد ذلك لأن هذا هو اللاهوت الايجابي، ولكن ما يكشفه الله عن نفسه ليس هو نفسه– لأننا نسعى لفهم الله في ذاته– يجب أن نذهب وراء الإثباتات التي صنعناها وسلبها جميعًا عن الله، وبالتالي نستخدم اللاهوت السلبي(١٢٥).

وكتابات ديونيسيوس نفسها، في مجملها، تنطلق من المبدأ القائل: أن اسماء الله الموجودة في الكتاب المقدس لاتوفر لنا معرفة كاملة بالله. والفكرة التي تتكرر مرارًا وتكرارًا، تحت أشكال وعبارات مختلفة هي: "الله" "الكائن الواحد"، يتجاوز كل شئ، الكيفيات والإثبات والنفي، وكل تصور عقلي. بالقوة ذاتها من محبته وخيره الذي يمنحه للكائنات خارجه. وبرغم كونه يوجد الكائنات المتدرجة وكونها لا تعد أو تحصى، فهو يحافظ على كل واحد من هذه الكائنات من خلال رعايته وتوجيهه كل في مجاله الخاص، ثم يجذبهم إليه مرة أخرى بترتيب تصاعدي(١٢٦).

(124) Deirdre Carabine,The unknown God,Negative Theology in the Platonic Tradition: Plato to Eriugena, Louvain Theological, Pastoral Monographs,Peeiers press, Louvain, 1995, P 299.
(125) AndrewLouth, Denys the Areopagite, P 88.
(126) Stiglmayr Joseph, Dionysius The pseudo-areopagity, Catholic Encyclopedia, Copyright Kevin Knight, 2017, P2.

(ISSN: 2536 - 9555)

ولا غرو أن ديونيسيوس في تصوره للذات الإلهية اعتمد– إلى جانب اللاهوت– على الانطولوجيا إذ لم يكن ثمة تعارض بين اللاهوت والانطولوجيا بل كانوا من قبل يستخدمون مصطلح اللاهوت للإشارة إلى كل ما يحويه الكون من موجودات وكيفية معرفتها، أي الأنطولوجي. وليس أدل على ذلك ما سبق توضيحه من استخدام ديونيسيوس لمفهوم انبثاق العالم للدلالة على منهجه الايجابي، وكذلك توظيفه لمفهوم عودة العالم إلى الله لتوضيح منهجيه في السلب والتجريد.

ولقد عول ديونيسيوس على اللاهوت بأنواعه ايجابى وسلبى وصوفى بمناهجهم المختلفة للولوج إلى الماهية الإلهية، وإن مثل كل من المنهج الايجابى والمنهج السلبى تمهيدًا لذلك الولوج، الذى تم من خلال المنهج التجريدى والتأمل والاستسلام ومن ثم الإتحاد بالله. وجدير بالذكر أن الباحثين قد أغفلوا ما للمنهج التجريدى من أهمية، وارتكز حديثهم على المنهج الإيجابى وكذا المنهج السلبى، وذلك برغم تناول دبونيسيوس فى نصوصه لدور التجريد واثره فى معرفة الذات الإلهية.

يتضح مما سبق المراحل التى مر بها ديونيسوس لمعرفة حقيقة الذات الإلهية. وكانت البداية بالتعويل على ما ورد فى الكتاب المقدس من صفات إلهية من خلال اللاهوت الإيجابى والمنهج الإيمانى الإيجابى، مرورًا باستخدام المنهج السلبى واللاهوت السلبى ونفى للصفات الإلهية، وهذا النفى فى حد ذاته لم يمكن ديونيسيوس من بلوغ مأربه وذلك لما يضفيه هذا النفى من محدودية على الذات الإلهية، أى يجعلها تتسم بكونها محدودة، مما لا يليق بسموها وتعاليها. وصولًا إلى اللاهوت الصوفى وتجريد الجوهر الإلهى من كل الصفات وتجاوزها، مما يمكن من الاتحاد به. وهنا تكمن معرفة ماهية الله فى ذاتها، بمعنى آخر معرفة الله فى ذاته لن تتحقق إلا من خلال الإتحاد به.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا- المصادر:

أ- **المصادر باللغة الانجليزية:**

1- Dionysius The Areopagite, The Areopagite works (1897), Divine Names,Mystic Theology, Trans by John Parker: Christian Classics, Ethereal Library.

2- Proclus Diadochus, on the theologe of plato, trasns. ByThomas Taylor, with an added seventh book from collected material: Electronic edition, 2010.

3- Proclus, The Elements of theology, A Revised text with translation, introductionand commentary by E.R.Dodds, oxford university press, London, 1971.

ب- **المصادر باللغة العربية:**

١- أرسطوطاليس، ما بعد الطبيعة، المقالة السادسة دار ذو الفقار، اللاذقية، ٢٠٠٨.

٢- أفلاطون، محاورة بارمنيدس لأفلاطون، ترجمة حبيب الشاروني المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.

ثانياً- المراجع:

أ- **المراجع باللغة الانجليزية:**

1- Amy Hollywood, Patricia Z.Bechman, the Cambridge companion to Christian mysticism, Cambridge university press, 2012.

2- Andrew Louth, Denys the Areopagity, Outstanding Christain Thinkers, Continuum, London- NewYork, 2001.

(ISSN: 2536 - 9555)

3- Andrew Louth, Apophatic and Cataphatic Theology, The Cambridge Companion to Christian, Oxford university press, 2007.

4- Andrew Louth, The origins of The Christian Mystical Tradition from Plato to Denys, 2 edition: Oxford univ., press, 2007.

5- Berndan Thomas Sammon, The God who is Beauty, James clark-co, Cambridge, 2013.

6- Christian Schafer, The philosophy of Dionysius the Areopagite Leiden. Brill, Boston, 2006.

7- Deirdre Carabine, The unknown God, Negative Theology in the Platonic Tradition: Plato to Eriugena: Louvain Theological, Louvain, Pastoral Monographs, Peeiers press, 1995.

8- Eric Perl,Pseudo- Dionysius The areopagite, Edite by Lioyd P.Gerson, The Cambridge History of Philosophy in Late Antiquity, Volume II, Cambridge university press, 2011.

9- Eric Perl, Theophany, The Neoplatonic Philosophy of Dionysius the Areopagite, State university of New York press, New York, 2007.

10- Lucas Siorvanes, Proclus, Neo-Platonic Philosophy and Sciense, Yale University press, 1996.

11- Radek Chlup, Proclus, An introduction: Cape Town Cambridge university press, 2012.

12- Sarah Klitnic, John Dillon, Dionysius the Areopagagite and Neoplatonist Tradition, AShgate studies in Philosophy-Theology in LateAntiquity, AShgate, 2007.

13- Torstein Theodor Tollefsen, Activity and Participation in Late Antique and Early Christian Thought: Oxford early Christian studies, oxford uni, press, New York, 2012.

ب-المراجع باللغة العربية:

١- على زيعور، الفلسفة في أوربا الوسيطة وعصرى النهضة والإصلاح: المكتب العالمى للطباعة والنشر.

٢-كوبلستون، تاريخ الفلسفة، من أوغسطين إلى دانز سكوت، المجلد الثانى، القسم الأول، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام وإسحق عبيد، المركز القومى للترجمة، القاهرة.

٣-يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤.

ثالثاً- المجلات ودوائر المعارف:

1- Eric D.Perl, Pseudo Dionysius, Acompanion to Philosophy in Middle Ages, edited by Jorge J.E.Gracia.Timothy B.Noona , Blackwell Publishing.
2- Corrigan, Kevin and L.Michael Harrington, pseudo-Dionysius the areopagite, Stanford, Metaphysics Research Lab, Stanford University, 2019.
3- Don S.Armentrout and Robert Boak, editors, Episcopal Dictionary of the Church, New York.
4- Gellman,Jerome,"Mysticism",The Stanford Encyclopedia of philosophy, Stanford University, 2019,
5- Hekming, Kristoph and Steet, Carlos, "Proclus", Stanford, Metaphysics Research Lab, Stanford University, 2019.
6- John Parker, In Defense of The Dionysian Authorship form The complete Works of St. Dionysius the areopagite, introduction with thanks to my stagogy,Rev.john parker, Fr.Dumitru Staniloae, 2015.
7- L.M.De Ruk, Causation and Participation in Proclus The pivotal Role of Scope Distinction in his Metaphysics, on proclus and his influence in medieval philosophy", edited

(ISSN: 2536 - 9555)

by E.P.Bos and P.A.Meijer, E.J.Brill, Leiden, Newyork, 1992.
8- Oxford dictionary on Lexico.com.
9- Rolt, Clarence Edwin, Dionysius the Areopagite: On the divine names and the mystical theology, Montana, U.S.A: kessinger publishing campany.
10- Stiglmayr Joseph, Dionysius The pseudo-areopagity, Catholic Encyclopedia, Copyright Kevin Knight, 2017.
11- The editors of Britannica Encyclopaedia ,The Cappadocian Fathers, Patristic Litereture, Christianity, Britannica Encyclopaedia, 2020.

رابعاً- الرسائل:

1- Laurance Jay Rosan, The philosophy of Proclus, The final Phase of Ancient Thought Instructor in philosophy, PHD, Pennsylvania collage, cosmos, New York, 1949.